مقرر قرى ومدن وأسواق أثرية

السنة الثالثة الفصل الثاني قسم إدارة المكاتب السياحية والإرشاد السياحي

الدكتور حسام غازي

القرى الأثرية

١-قرية المريبط
٢-قرية أبو هريرة
٣-قرية الجرف الأحمر
٤-قرية تل حالولة
٥- قرية البارة
٦-قرة سرجيلا
٧-قرية براد
٨-قرية بترسا
٩-قرية بشيلا
١٠-قرية باقرحا
١١-قرة بابسقا
١٢-جبل وقرية باريشا
١٣-قرية بحيو
١٤-قرية دير سمعان

المدن الأثرية

١-مدينة حبوبة الكبيرة
٢-مدينة إبلا
٣-مدينة ألالاخ
٤-مدينة إيمار
٥-مدينة أفاميا
٦-مدينة الرصافة
٧-مدينة عين دارا
٨-مدينة الأندرين
٩-تل أفس
١٠-تل جنديرس
١١-تدمر
١٢-بلدة معلولا
١٣-بلدة صيدنايا

الأسواق الأثرية

١-الأسواق الأثرية في مدينة دمشق
-سوق الأروام
سوق الحميدية
سوق البزورية

سوق الخُجَا
سوق الدّراع
سوق ساروجة
سوق العتيق
سوق القَلبَقجِيَّة
سوق المِسكِيَّة
٢-الأسواق الأثرية في مدينة حلب
سوق المدينة
سوق الزرب
سوق العبي
سوق العطارين
سوق السقطيّة
سوق البهرمية
سوق قره قماش
سوق الدهشة
سوق الطرابيشية
سوق الدراع
سوق القصابية
سوق الفرايين
سوق أرسلان دادا

القرى الأثرية

١-المريبط

مستوطنة نيوليتية تقع في وادي الفرات الأوسط، تم اكتشافها في عام ١٩٦١م من قبل موريس فان لون (VAN LOON M.)، وفي عام ١٩٦٥م بدأت التنقيبات الأثرية في الموقع بإدارة فان لون نفسه، ثم من قبل بعثة أثرية فرنسية يديرها جاك كوفان بين عامي ١٩٧١ و ١٩٧٤م، وأثمرت تلك التنقيبات في كشف مشهد ثقافي غني ومتنوع يغطي الفترة الممتدة من النطوفي الأخير حتى عصر النيوليت ما قبل الفخار B الأوسط، وفيما يلي عرض موجز لمراحل الاستيطان في الموقع:

السوية A I: تعود للمرحلة الأخيرة من الثقافة النطوفية، التي تؤرخ على نحو ١٠٨٠٠ إلى ١٠٠٠٠ ق.م، وهي تحتوي على بقايا أرضيات من اللبن، ومواقد تحوي الحصى والفحم، وعثر فيها أيضاً على رسوم تجسد طائراً ونبتة عشبيةً مرسومة على العظم.

السويتان IB و II: تعود هاتين السويتين للثقافة الخيامية، التي تؤرخ على نحو ١٠٠٠٠ إلى ٩٥٠٠ ق.م، حيث عثر في السوية IB على بيوت دائرية، لها نصف مدخل بعمق ٥٠ سم، ويصل قطرها لنحو ٦م، وأرضياتها من الطين، وجدرانها مطلية بالملاط الطيني أيضاً، ووجد في إحدى هذه البيوت أجزاء مفككة من جمجمة ثور مغروسة في اللبن مع عظام الكتف لثور. أما بالنسبة للسوية II فقد عثر فيها على بيوت دائرية صغيرة، يبلغ قطرها نحو ٣-٤م، بعضها مغروس في الأرض، والبعض الآخر مبني على السطح مباشرةً، وهي مؤلفة من عدة غرف، جدرانها مبنية من اللبن على أساس حجري، ونلحظ وجود حفرة موقد خارج المنزل. كما عثر في هذه السوية على دمية حجرية مكسورة من الأعلى، ارتفاعها ٣ سم، وعرضها ١,٦ سم، وهي في وضعية الوقوف، ويوحي شكلها بأنها أنثوية، ولكن دون إشارة مباشرة.

السويتان A III و B III : تعود هاتين السويتين للثقافة المريبطية، التي تؤرخ على نحو ٩٥٠٠ إلى ٨٧٠٠ ق.م، وهما يمثلان مرحلتين تطوريتين متعاقبتين لهذه الثقافة:

المرحلة الأولى: تدعى المريبطي القديم، وتمثلها السوية A lll، إن مساحة قرية المريبط خلال هذه المرحلة غير معروفة، ولكن من خلال دراسة الجزء المنقب من القرية يمكن تصورها على أنها تجمّع من بيوت مستديرة متنوعة المقاييس تتدرج على منحدر، ويوجد بين البيوت مساحات فارغة تضم المواقد الكبيرة المملوءة بالحصى، ونلحظ استمرار البيوت المستديرة المعروفة في المرحلة السابقة، ولكنها أصبحت أكثر اتساعاً، ويصل قطرها إلى حوالي ستة أمتار ونصف مدفونة أو مبنية على السطح مباشرةً، وجدرانها من تراب مدكوك، ويغطي المنزل سقف مسطح من الطين قائم على حوامل خشبية متلاقية ومتصلة، محمولة هي نفسها بوساطة روافد تتجه باتجاه المحيط ابتداء من ساكف داخلي يقع في نهاية الممر، وكانت هذه البيوت مقسمة من الداخل لحجرات بوساطة جدران مستقيمة، حيث توجد حجرة للنوم مقابل المدخل وهي غالباً ما تكون مرتفعة قليلاً، وحجرة للموقد وحجرة لتخزين المؤن.

المرحلة الثانية: تدعى المريبطي الحديث، وتمثلها السوية B III، بلغت مساحة القرية خلالها أكثر من هكتارين، وظهرت البيوت المستطيلة الشكل لتحل بشكل تدريجي مكان البيوت

المستديرة التي كانت سائدة سابقاً، أرضياتها طينية، وجدرانها مبنية من الحجارة الحوارية المنحوتة على شكل متطاول مربوطة مع بعضها البعض بواسطة ملاط، ومقسمة إلى خلايا مربعة لا يتجاوز طول ضلعها في أغلب الأحيان ١م، وربما استخدمت للتخزين، وتواجدت معها في المكان نفسه بيوت دائرية قطرها ٣ إلى ٤م وغير مقسمة، استخدمت للسكن.
وإضافة للبقايا المعمارية المكتشفة في هاتين السويتين فقد عثر على ثمانية دمى إنسانية، أربعة منها مصنوعة من الطين والأربعة الأخرى مصنوعة من الحجر، وجميع هذه الدمى أنثوية باستثناء دمية واحدة فقط من الحجر الأحمر تمثل رجلاً وذلك من خلال اللحية الواضحة، وقد مُثّل بعض هذه الدمى بواقعية والبعض الآخر بشكل مختزل. وعثر أيضاً على حالات دفن جماعي للجماجم المفصولة عن الجسد، كما عثر على حالات دفن فردية لجمجمة مفصولة عن الجسد، حيث اعتاد سكان القرية على دفن موتاهم تحت أرضيات منازلهم بعد فصل الجمجمة عن الجسد.
السوية A V I: تعود لعصر النيوليت ما قبل الفخار B القديم، الذي يؤرخ على نحو ٨٧٠٠ إلى ٨٢٠٠ ق.م، وهي منقبة بشكل محدود، ولم يعثر فيها على عمارة، بل عثر على مجموعة من الأدوات الحجرية أبرزها نبال بيبلوس التي حلت مكان نبال المريبط، كما عثر على عظام حيوانية متنوعة مثل الثيران والخيول والغنم والماعز والبقر والخنزير التي تظهر علامات على احتمال أنها كانت حيوانات مدجنة.
السوية B V I: تعود لعصر النيوليت ما قبل الفخار B الأوسط، الذي يؤرخ على نحو ٨٢٠٠ إلى ٧٥٠٠ ق.م، عثر فيها على بيوت مستطيلة الشكل، بنيت جدرانها من الطين المجفف الممزوج بالقش، كما عثر على عظام لحيوانات مدجنة مثل الغنم والماعز والبقر، وأدوات حجرية متنوعة من أبرزها رؤوس السهام.

٢-أبو هريرة

تقع على الجانب الأيمن لنهر الفرات في ريف الرقة ويقترن أسمها الحالي بالمسجد العائد إلى القرن السادس الهجري، المبني بالقرب من التل، حيث توجد القرية الحديثة، وهو المعروف بمسجد أبي هريرة. يأخذ هذا التل شكل شبه منحرف، وقد تم تنقيبه خلال موسمين فقط، في عامي ١٩٧٢ و ١٩٧٣م، وذلك من قبل بعثة أثرية مشتركة من جامعة أكسفورد ومعهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو، وعملت تلك البعثة بإشراف الباحث مور (MOORE A.M.T.) الذي تمكن مع فريقه من كشف سويتين رئيسيتين، تؤرخ الأولى على العصر الحجري القديم المتأخر، وتعود للثقافة النطوفية، في حين تؤرخ السوية الثانية على العصر الحجري الحديث، وتشمل ثلاث طبقات.
السوية الأولى: تعود للثقافة النطوفية، عثر فيها على بيوت دائرية الشكل، يبلغ قطرها ٢م، وهي محفورة في الأرض بعمق ٧٠سم، سقوفها مستندة إلى حوامل خشبية، تغطيها أغصان الأشجار والقصب، أما الأرضيات فكانت من الطين. وعثر بين تلك البيوت على مساحات مكشوفة تحتوي على مواقد، وعثر أيضاً داخل البيوت وفيما بينها على مجموعة من الأدوات الحجرية والعظمية والحلي وأدوات الزينة، وكذلك بقايا نباتية وحيوانية تشير إلى طبيعة النشاط الاقتصادي الذي كان يمارسه سكان المستوطنة. بالنسبة للأدوات الحجرية، فقد صنع بعضها من الصوان الأسود أو البني اللون، وبخاصة الأدوات الميكروليتية الشكل، والأدوات الهلالية، والأزاميل، والمقاشط...في حين صنع بعضها الآخر من البازلت، مثل المجارش والرحى الخاصة بطحن الحبوب. أما بالنسبة للأدوات العظمية، فقد كان من أبرزها الإبر

والمخارز والمثاقب المخصصة بالدرجة الأولى لتحضير الجلود. وتتمثل الحلي وأدوات الزينة بشكل أساسي بالقلائد الحجرية والصدفية. وفيما يخص البقايا النباتية، فتشير الدراسات إلى أن مجموعة كبيرة من الحبوب والنباتات البرية كانت مستهلكة لدى سكان المستوطنة، ويمكن تقدير عددها بـ ٢٥٠ نوعاً، ومن أبرزها الجاودار والقمح. أما فيما يخص البقايا الحيوانية، فتشير الدراسات إلى أن الغزال الفارسي كان يأتي بالدرجة الأولى، حيث وصلت نسبة استهلاكه إلى ٨٠%، ويأتي البغل البري بالدرجة الثانية، إذ كان استهلاكه بنسبة ١١%، ثم الأرنب البري والغنم والماشية. وتجدر الإشارة إلى أنه تم هجر الموقع في نهاية عصر الثقافة النطوفية، واستمر ذلك حتى أعيد استيطانه في مطلع الألف الثامن ق.م، أي خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار B.

السوية الثانية: وهي مؤلفة من ثلاث طبقات، تعود الطبقتين الأولى والثانية للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار B، في حين تعود الطبقة الثالثة للعصر الحجري الحديث الفخاري.

الطبقة الأولى من السوية الثانية: تؤرخ على النصف الأول من الألف الثامن ق.م، عثر فيها على بيوت متعددة الغرف، ذات مخطط مستطيل الشكل، سقوفها محمولة على جسور خشبية ومغطاة بالقصب والأغصان، والمداخل بين الغرف بدت بشكل طاقات كبيرة. كما عثر على مجموعة من الأدوات الحجرية الصوانية أبرزها رؤوس سهام من نمط جبيل، وأزاميل، ومخارز، وكذلك أدوات حجرية بازلتية مثل الرحى المخصصة لطحن الحبوب، وفؤوس مصقولة من الحجر الأخضر.

الطبقة الثانية من السوية الثانية: تؤرخ على النصف الثاني من الألف الثامن ق.م، تطورت خلالها المستوطنة، لتبلغ مساحتها نحو ٣٠٠×٤٠٠م، أي ما يعادل ١٢ هكتاراً، واستمرت بيوت هذه الطبقة بمخططاتها ذات الشكل المستطيل، ويكشف البيت الأكثر حفظاً الذي تم تنقيبه كاملاً عن مخطط مستطيل يضم خمس غرف تراوح أبعادها ما بين ٤×٣م و٢×١.٢م، ويصل ارتفاع ما تبقى من الجدران إلى ١.٧م، وقد طليت أجزاؤها السفلى مع الأرضيات باللونين الأسود والأحمر اللامعين، أما أجزاؤها العليا فقد كسيت بالجص الأبيض، واكتشفت في بعض الغرف مصاطب للنوم، كما احتوت إحدى الغرف موقداً أرضياً، وعثر تحت أرضيات الغرف ١ و ٤ و ٥ على هياكل مدفونة وكذلك جماجم مدفونة بمفردها، وهنا تجدر الإشارة إلى أن موقع أبو هريرة قدم معلومات مهمة عن الممارسات الجنائزية للمزارعين الأوائل، حيث عثر فيه على عدد كبير من القبور، أحصي منها ١٦٢ قبراً، مورس فيها الدفن الفردي، وأحياناً الجماعي، ومورست فيها أيضاً طرق دفن الجماجم بعد فصلها عن الجسد، وقد عثر على تلك القبور إما تحت أرضيات البيوت، وإما في ساحات بين البيوت، وهي توفر الدليل على دفن بعض الموتى بعد دهن أجسادهم بالمغرة الحمراء ولفها بالبسط. وفضلاً عن ذلك فقد عثر في هذه المستوطنة على مجموعة من الأدوات الحجرية الصوانية أبرزها رؤوس السهام، والمقاشط، والأزاميل، والمناجل المركبة. وعثر أيضاً على دمية مصنوعة من الحجر الكلسي تمثل رأس غزال، وكسر من دمى إنسانية غير واضحة المعالم. كما قدمت هذه المستوطنة أدلة على الاتصال بمناطق أخرى بعيدة، حيث عثر فيها على أدوات وحلي مصنوعة من الأوبسيديان الذي جلب من الأناضول، وعثر أيضاً على حلي مصنوعة من الفيروز المتوافر في سينا، وكذلك الأصداف ذات اللون المائل للاحمرار من البحر الأحمر أو الخليج العربي، إضافة إلى القار والهيماتيت من المناطق المجاورة. وتشير الدراسات التي تم القيام بها على البقايا النباتية والحيوانية إلى اعتماد سكان الموقع في معيشتهم على الزراعة

والتدجين، حيث كانوا يزرعون القمح والشعير والذرة والعدس واللوبيا، مع الإشارة إلى عدم توقف عملية جمع البذور والثمار البرية مثل العنب والكمون. ودجن سكان الموقع أصنافاً من الحيوانات أبرزها الغنم. واستمروا أيضاً بالاعتماد على الصيد بنوعية البري والنهري.
الطبقة الثالثة من السوية الثانية: تؤرخ هذه الطبقة على الألف السابع ق.م، وهي تعود للعصر الحجري الحديث الفخاري، وقد تقلصت خلالها مساحة المستوطنة، ولكن استمرت عناصر العمارة نفسها، وكذلك الأدوات الحجرية مع الإشارة إلى ظهور تقنية جديدة في تصنيع الأدوات وهي تقنية الضغط، التي استخدمت في تصنيع رؤوس السهام التي كانت سائدة حينها، وهي من نوع العمق وأوجاريت.

٣-الجرف الأحمر

أحد أهم القرى العائدة للثقافة المريبطية في سورية، تقع على الضفة اليسرى لنهر الفرات، وتم اكتشافها في عام ١٩٨٠م من قبل توم ماكليلان، ثم جرت فيها حفريات طارئة ضمن إطار الحملة الدولية لإنقاذ آثار حوض سد تشرين، وبين عامي ١٩٩٥ و ١٩٩٩م عملت في الموقع بعثة أثرية سورية-فرنسية مشتركة بإدارة دانييل ستوردور (STORDEUR D.) وبسام جاموس، وهو يرقد اليوم تحت مياه البحيرة التي تشكلت بعد إنشاء السد.
يؤرخ الاستيطان في الموقع على نحو ٩٥٠٠ إلى ٨٧٠٠ ق.م، وهو يعود لعصر النيوليت ما قبل الفخار A (الثقافة المريبطية) وللمرحلة الانتقالية بين النيوليت ما قبل الفخار A و B، ويمثل قرية مريبطية منظمة، تبدو مساحتها الظاهرية قريبة من هكتار واحد، ويبدوا أنها توافق في آن معاً المريبطي القديم والحديث في المريبط. ويتألف الموقع من تلين صغيرين، تل شرقي وآخر غربي، بدأ الاستيطان في الموقع على التل الشرقي الذي كشف فيه عن ستة مستويات لقرى متتالية، تطورت فيها العمارة من الأشكال الأقدم ذات المخطط الدائري وشبه الدائري والبيضاوي إلى الأشكال شبه المستطيلة وأخيراً المستطيلة، أما على التل الغربي فبدأت العمارة شبه مستطيلة ومستطيلة تفصلها جدران مائلة. وإلى جانب التطور الذي حصل على مخططات البيوت، نلحظ أن مكان السكن أصبح أكثر تنظيماً، حيث زُودت البيوت بالمواقد، وحُفَر التخزين، وأدراج ومصاطب، وأصبحت القرية أكثر تنظيماً وزودت بالشوارع الصغيرة والباحات الفارغة، أما ما يخص مواد البناء فقد استخدموا الحجر المقطوع الطويل (سيجار) والخشب واللبن.
وإضافة إلى ما سبق تتميز هذه المستوطنة بالمباني الجماعية-الشعائرية، وهي عبارة عن منشآت معمارية ضخمة تتوسط الأبنية الصغيرة المكونة للقرية، حيث ظهرت هذه المباني في بداية النيوليت ما قبل الفخار A، وكانت مقسمة إلى حجرات صغيرة ومصطبة تتوسط الفسحة الداخلية، لذلك أطلق عليها اسم المباني المتعددة الوظائف، وتم استخدامها من قبل سكان القرية للتخزين وإقامة الاجتماعات، ثم تطورت الفكرة الجماعية لهذه المباني في الفترة الانتقالية بين النيوليت ما قبل الفخار A و B فاختفت الحجرات التخزينية لتبقى المصطبة في الفسحة الداخلية، وزينت واجهتها بواسطة أعمدة مطلية، وبلاطات منحوتة ومزخرفة بأشكال حيوانية وهندسية، لتصبح متخصصة بوظيفة واحدة وهي اجتماعية أو طقسية.
وفيما يتعلق بالأدوات التي عثر عليها في هذا الموقع، فقد كانت حجرية وعظمية، منسجمة مع طبيعة النشاط الاقتصادي الذي قاموا بممارسته، وتتميز صناعاتهم الحجرية من الناحية التكنولوجية بإنتاج نصال مستقيمة انطلاقاً من نوى ثنائية القطب جانبية أو سفينية الشكل، وهناك أيضاً نصال ضخمة أحادية القطب مصنوعة من الصوان أو الأوبسيديان. أما من

الناحية التيبولوجية فكان من أبرز أدواتهم الحجرية نبال المربيط ونبال الجرف الأحمر، إضافة للمقاشط والأزاميل والمخارز والسكاكين والبلطات، والأدوات الزراعية كالمناجل الصوانية والرحى والأجران والمدقات. وفيما يتعلق بأدواتهم العظمية فقد كان من أبرزها المخارز والإبر المستخدمة في صناعة الجلود.

٤-تل حالولة

مستوطنة نيوليتية تقع في وادي الفرات الأوسط بالقرب من مدينة منبج، وهي عبارة عن تل شبه دائري الشكل، تم تنقيبه بين عامي ١٩٩١ و ٢٠١١م من قبل بعثة أثرية سورية-إسبانية مشتركة تعمل بإشراف ميغيل موليست (MOLIST M.)، وعثر فيه على مرحلة طويلة من الاستيطان تغطي الفترة الممتدة من ٧٨٠٠ إلى ٥٤٠٠ ق.م، وهي تندرج ضمن العصرين الحجريين الحديث والنحاسي، وتشمل المرحلتين الوسطى والحديثة من عصر النيوليت ما قبل الفخار B، وعصر النيوليت الفخاري، وثقافة حلف.

النيوليت ما قبل فخار B الأوسط: تتألف القرية العائدة لهذا العصر من بيوت مستطيلة الشكل، تفصل بينها مساحات خارجية، عثر فيها على بقايا صناعات صوانية، وبقايا حيوانية ونباتية خلّفها سكان القرية، كما احتوت تلك المساحات على منشآت متعددة مثل الحفر والصوامع المخصصة لحفظ الحبوب وأفران...، وهذا يشير إلى أنها تمثل مساحات متعددة الوظائف. وفيما يخص بيوت السكن فقد تمتعت بصفات مشتركة أبرزها نمط البناء وفقاً للمخطط المستطيل متعدد الخلايا، والتوزيع المنتظم والمتجانس للخلايا، واستخدام الطوب في بناء الجدران التي طليت مع الأرضيات بالكلس، وكانت تلك البيوت مؤلفة بشكل عام من فضاء شبه مفتوح (إيوان) يليه القاعة الرئيسية وخلفها غرفتان. وإضافة لما سبق فقد تم توثيق العديد من المدافن ضمن الطبقات العائدة لهذا العصر، وكذلك الحال في بقية طبقات الموقع، وتنوعت تلك المدافن ما بين الدفن الأولي والثانوي، والفردي والجماعي، والأطفال والبالغين، حيث دُفنت معظم الجثث داخل حفر دائرية بوضعية الجلوس والثني المرن أو الجنين، ولفّت بالحصير أو الكتان، وترافقت تلك الهياكل مع مرفقات جنائزية متمثلة بالأدوات الحجرية والعظمية وأدوات زينة، وعُثر على تلك القبور داخل البيوت، تحت الأرضيات الجصية أو الطينية، وخاصة أرضيات الغرفة الرئيسية.

النيوليت ما قبل الفخار B الحديث: بلغت مساحة القرية العائدة لهذا العصر نحو ثمانية هكتارات، وهي مؤلفة من بيوت مفصولة عن بعضها بمساحات خارجية، بنيت فيها مواقد وأفران وورش حرفية، وتتميز تلك البيوت بمخططاتها المستطيلة الشكل، وهي مبنية على قاعدة حجرية، وجدرانها من الآجر ومطلية من الداخل بالجص الذي استعمل كذلك لطلي سطوح أغلبية الغرف، وكانت تلك البيوت متعددة الغرف (ثلاث غرف أو أكثر)، ويبدو أنها استعملت لوظائف مختلفة، ففي الغرفة الأكبر ذات السطح المطلي بعناية يوجد موقد وفرن، بينما كانت الغرف الأخرى أصغر مساحةً واستخدمت لوظائف ثانوية، حيث عثر في إحداهما على عدد من مخازن الحبوب. وتجدر الإشارة إلى وجود قرون ثور في أساسات هذه المنازل. ولوحظ في هذا الموقع تعاقب أرضيات خارجية، بعضها من تربة صلصالية عثر فيها على العديد من العناصر المعمارية، أغلبها منشآت وحفر للحرق، وكان لهذه المنشآت شكل محدد (مخطط بيضوي، دائري...)، والجدران الداخلية مصقولة ومطلية بالطين، وتظهر عليها آثار الحريق بشكل واضح، والأبعاد الكلية لهذه المنشآت مختلفة ومتغيرة، حيث تم توثيق سلسلة من منشآت الحرق الكبيرة والعميقة، إضافة لمنشآت حرق صغيرة وقليلة

العمق، وكانت بأشكال متنوعة غير منتظمة وغير مطلية، وبشكل عام فإن تعدد الأفران بأشكالها وحجومها المختلفة في هذا الفضاء تبعدنا عن فرضية الاستخدام المحلي المنزلي لهذا القطاع والتوجه أكثر إلى استخدام النار في المهام الإنتاجية. وإضافة إلى ما سبق فقد عثر ضمن الطبقات العائدة لهذا العصر على العديد من التماثيل والحلي وأدوات الزينة، وكذلك مجموعة متنوعة من الأدوات الحجرية.

النيوليت الفخاري: تؤرخ القرية العائدة لعصر النيوليت الفخاري -التي يطلق عليها أحياناً مرحلة ما قبل حلف- على نحو ٦٩٠٠ إلى ٦٢٠٠ ق.م، ويشير توزع الأبنية في هذه القرية إلى وجود نمط إنشاء مبعثر للمساكن على التل، حيث كانت البيوت مفصولة عن بعضها بمساحات واسعة مفتوحة تحتوي على منشآت حرق، وأيضاً هناك أدلة واضحة على الاستخدام المنزلي لتلك الأجزاء، كما نلحظ وجود منشآت ضخمة تُظهر وجود تجهيزات مبنية ذات وظيفة جماعية مشتركة في الأجزاء الشرقية والغربية من التل، وعثر أيضاً في هذه المستوطنة على جدار ضخم، يعود لسور يحيط بالمستوطنة في الجزء الشرقي، تتصل به مساحات مفتوحة مجهزة بأرضية ترابية وغالباً بقنوات للمياه، وقد فسرت تلك القنوات في البداية على أنها كانت تستخدم لتصريف المياه، ولكن إعادة النظر في المعطيات ترجح إمكانية استخدامها في تخزين المياه أي ارتباطها على الأرجح بنظام تخزين. وفيما يخص بيوت السكن، فهي تتمثل بالبيوت ذات المخطط المستطيل الشكل أو المربع التي تتبع تقاليد العصر السابق، واستعمل في تشييدها خليط من الحجارة واللبن في جدرانها، كما استخدم الكلس بطريقة متقطعة لطلاء بعض أرضيات الحجرات وجدرانها، وكانت تلك البيوت تحوي حجرات متجاورة صغيرة الأبعاد، وفيها تجهيزات منزلية مثل الأفران والمواقد.

ثقافة حلف: تتميز الطبقات العائدة لثقافة حلف باحتوائها على مباني دائرية، مخططاتها بسيطة، وأبعادها متوسطة، وجدرانها مبنية بالحجارة ومطلية بالكلس، وهي مشابهة للبيوت المعروفة باسم التولوس التي اشتهرت بها ثقافة حلف. كما عثر ضمن الطبقات العائدة لهذه الثقافة على الكثير من الأواني الفخارية الحلفية.

٥-البارة

تُعدّ قرية البارة Al-Bara من أهم القرى (المدن الميتة) الواقعة في جبل الزاوية جنوبي الكتلة الكلسية وتمتد على مساحة تقدر بنحو ٢كم من الشمال إلى الجنوب و١كم من الشرق إلى الغرب.

وتتميز البارة من غيرها من القرى في كونها من أكبر المواقع الأثرية في الكتلة الكلسية، وتظهر فيها ملامح مدينة، حيث كشفت التنقيبات الأثرية الأخيرة وجود بدايات تنظيم عمراني متمثلاً بوجود عدد من الأزقة الطويلة والمتقاطعة بعضها مع بعض؛ مما يخلق نوعاً من التنظيم العمراني في الموقع. ويفترض أن لهذا الموقع دوراً مهماً من الناحيتين الاقتصادية والإدارية مع القرى المحيطة به، ومع المدن الكبيرة في شمالي سورية مثل أفامية وأنطاكية خلال العصر البيزنطي؛ إذ كانت البارة بمنزلة مدينة صغيرة أو قضا .

ويختلف هذا الموقع عن باقي المواقع المحيطة به في تاريخ الاستيطان، فمن خلال دراسة العناصر المعمارية والزخرفية لم يتم التوصل إلى دليل على استيطان يعود إلى ما قبل القرن الرابع الميلادي في الموقع؛ على الرغم من وقوعه إلى جوار وادٍ غني بالتربة الزراعية الصالحة لزراعة الزيتون والفواكه. إضافة إلى ذلك، تتوافر المياه في هذه المنطقة على خلاف المناطق الأخرى، لذا فإنه يبدو من غير الطبيعي أن تبقى هذه المنطقة غير مسكونة

حتى نهاية القرن الرابع الميلادي. وبالمقابل فإن القرى الأخرى المحيطة بها مباشرة المقدر عددها بعشرين قرية- التي ورد ذكر بعضها في المقدمة- قد استوطنت منذ العصر الروماني، ودلّت على ذلك التنقيبات التي أجريت في سرجيلا على بعد ثلاثة كيلومترات من البارة.
ونفت بعض الفرضيات وجود استيطان بمنطقة البارة قبل القرن الرابع الميلادي؛ معتمدة على الدراسات المعمارية للمباني الموجودة على سطح الأرض، وبرأي بعض الباحثين فإنه من غير الممكن أن تكون البارة غير موجودة في الوقت الذي كانت فيه المواقع الأخرى مأهولة منذ فترة طويلة لأكثر من قرنين من الزمن. لذلك كان لا بد من إجرا أسبار أثرية للحصول على معطيات جديدة غير معروفة سابقاً، أو طرح تساؤلات عن أسباب هذا التطور المدهش والمتأخر زمنياً. وعلى ضو ذلك بدأت البعثة الأثرية عملها في هذا الموقع منذ عدة سنوات للتأكد من وجود طبقات رومانية فيه، وقد تم تأكيد هذا خلال عدة مواسم في ساحة المسجد الكبير وسط الموقع.
ازدهر هذا الموقع ازدهاراً مهماً منذ بدايات العصور الإسلامية، يدلّ على ذلك وجود المسجد الكبير الذي يتمتع بغنى عناصره المعمارية والزخرفية؛ على خلاف القرى الأخرى المحيطة التي هجرت تدريجياً في الفترة الممتدة بين القرنين الثامن والعاشر الميلاديين. ثم تم احتلال البارة من الصليبيين حيث أصبحت مقراً للأسقفية في القرن الثاني عشر الميلادي، تاريخ تطور الموقع في الحصول على معلومات مهمّة حول تطور الكتلة الكلسية خلال العصور البيزنطية والإسلامية المختلفة.
طبيعة المباني الأثرية في هذا الموقع:
تُعدّ قرية البارة من أغنى المواقع بالكنائس التي تعود إلى القرنين الخامس والسادس، ويبلغ عددها خمس كنائس، وقد تم اعتماد المخطط البازيليكي في بنائها، فتتألف من مجاز مركزي (صحن الكنيسة) وجناحين على الجانبين، حيث تم إجراء التقسيمات داخلها من خلال وجود صفين من الأعمدة الحاملة للأقواس التي تحمل بدورها السقف. و يمكن أن تُلفى حالات مختلفة من التقسيم الداخلي المعتمد في مناطق أخرى كوجود صفين من الدعامات أو الركائز بدلاً من الأعمدة مثل كنيسة بيزوس في الرويحة؛ لتساعد على حمل الأقواس الكبيرة والتقليل من عدد الأعمدة؛ مما يخلق نوعاً من الوحدة الداخلية بين المجاز المركزي والأجنحة ومساحة واسعة داخل الكنيسة.
وهناك بعض الأديرة المبنية إلى جانب الكنائس الخمس في البارة، وأهمها دير سوبات، كانت تعيش فيها مجموعة من الرهبان الذين اتبعوا ناسكاً، واختاروا لأنفسهم نمطاً من الحياة يقوم على نبذ كل ما يتعلق بالدنيويات، واختيار حياة الزهد والعبادة والتأمل، وأن يعيشوا حياة مشتركة بعضهم مع بعض ضمن مجموعة واحدة. ومن المعروف انتشار ظاهرة الرهبنة في الكتلة الكلسية في القرنين الخامس والسادس الميلاديين؛ فهناك العشرات منها.
وهنالك العديد من المدافن في البارة تعطي صورة واضحة عن طبيعة الدفن خلال العصر البيزنطي، وهي- على نحو أساسي- من النوعين المعروفين الأرضي و الهرمي. وتتميز المدافن الأرضية فيها بأنها محفورة في الصخر، ويقود إليها باب يتقدمه غالباً رواق محمول على أعمدة أو قوس كبيرة تعلو الباب مباشرة أو تتقدمه قليلاً مُشكِّلاً رواقاً أمامياً ودرجاً، وتتألف غرفة الدفن من مجموعة من المعازب المنحوتة في الصخر، وتحوي قبوراً تختلف بالعدد والتنظيم الداخلي. أما المدافن الهرمية في البارة فهي مبنية على سطح الأرض أيضاً، وتتألف من غرفة تحوي عدة توابيت حجرية، ويعلوها شكل هرمي، ونحتت على واجهاتها

زخارف متنوعة، ولا تُلفى في البارة سوى مدفنين منها يتشابهان مع مدافن موجودة في قرية سرجيلا وبعودة وغيرها.
وفي البارة معصرتان كبيرتان، إحداهما في الجهة الغربية من القرية على المحور الشرقي الغربي، وهي ذات مخطط مستطيل الشكل، ويتم الدخول إليها من باب يقع في جهة الشرق، يليه الدرج المؤلف من ثماني درجات نزولاً. وتتألف من قسم سفلي محفور في الصخر يصل عمقه إلى ٢م، أما الجز العلوي فهو مبني من مداميك حجرية كبيرة منتظمة المقاييس، وسقف جملوني محمول على الأقواس الحجرية. وتبلغ أبعاد المعصرة من الداخل نحو ١٠م × ٦.٧٥م، وداخلها أدوات العصر الرئيسة كالأحواض والقنوات والطاحونة الحجرية، والأخرى تقع إلى الجنوب من المعصرة الأولى، على بعد ٥٠م، وعلى المحور الشرقي الغربي أيضاً، وهي تحتاج إلى أعمال حفر؛ مما يجعل من الصعب التعرُّف بدقة إليها من الداخل، أما من الخارج فهي واضحة المعالم، ويقع مدخلها في جهة الغرب على عكس المعصرة السابقة، كما تبلغ أبعادها ١٢.٢٠م × ٨.٥٠م.
أما الحمامات فلا وجود لها في كل قرية، على العكس من المباني المعمارية الدينية والجنائزية والمعاصر، حيث ارتبط وجود الحمامات العامة في بعض القرى بتوفر المياه اللازمة، وكذلك بالبعد الترفيهي للقرية. وفي البارة قامت الدراسات والتنقيبات الأثرية الحديثة من قبل البعثة الأثرية المشتركة السورية- الفرنسية بتوضيح مراحل التطور التي مر بها الحمام الذي يُعدّ أكبر حمامات الكتلة الكلسية بمساحة ٢٩٨ متراً مربعاً، وقد شيد في وسط القرية، ويتميز بمخطط بسيط مؤلف من قسمين: القسم الشمالي صالة كبيرة، والقسم الجنوبي الذي يتألف من خمس صالات قائمة على محور واحد. ودلّت الدراسات المعمارية على التشابه بين مخطط حمام البارة والحمامات الأخرى في جبل الزاوية (سرجيلا- شنشراح- مجليا). وأشارت الدراسات المعمارية والأسبار الأثرية في القاعة الكبرى للحمام إلى وجود تغير في وظيفة المبنى خلال العصور الإسلامية؛ إذ تحوّل إلى منزل خلال العصر المملوكي، فحدثت تغيرات واضحة في تقسيم الفراغات، وإغلاق عدد من الفتحات التي تعود إلى المبنى الأساسي، وإحداث فتحات جديدة بما يتلائم مع الاحتياجات الوظيفية الجديدة، وأكدت الدراسات التي تمت على الكسر الفخارية الموجودة ضمن الطبقات الأثرية هذه الفرضية.
وفيما يتعلق بالعمارة السكنية في هذه القرية؛ فهي أكثر أهمية من حيث العدد، وكذلك من ناحية الحفظ، وتساعد على معرفة تطور القرى خلال قرون عديدة، كما تمكن من تعرف عدد السكان ونمط حياتهم. وقد تم بناؤها من جدران تتكون من صف واحد من المداميك الحجرية الكلسية والمشذَّبة بشكل جيد، أو من صفين من الحجارة غير المنتظمة -في بعض الأحيان- على ارتفاع طابقين أو أكثر، وهي محمولة على أقواس حجرية مبنية داخل الغرف، بشكل عرضاني أو طولاني؛ لتكون أقواس الارتكاز التي تستند إليها غرف الطابق الثاني؛ حيث كان يتم الصعود إلى الطابق الأعلى بوساطة درج حجري أو خشبي؛ إذ كان محمياً من المطر، وذلك بوضعه تحت رواق الواجهة، أما السقف فشكله جملوني، وهو مصنوع من القرميد ومحمول على شبكة من العوارض الخشبية. وقد تم تخصيص غرف الطابق الأرضي للقيام بالنشاطات الاقتصادية وإيوا المواشي، أما الطابق العلوي فكان مخصصاً للمعيشة. ويُلاحظ في البارة وجود لنوافذ في الطابق الأعلى تكون مفتوحة على الباحة الداخلية والخارجية في بعض الأحيان.

وتتقدم غرف البيت الأروقة المحمولة على الأعمدة ذات الطرز المختلفة (الأيوني والكورنثي والتوسكاني...إلخ)، وتبنى أحياناً على طابقين أيضاً، تحاط من جهة واحدة أو أكثر بباحة مغلقة، وفيها غالباً بئر للما أو خزان لتخزين المياه في فصل الشتا ، وكانت بعض البيوت تجهز بحديقة ملحقة خلفية وغرف تحت أرضية مخصَّصة لتخزين المنتجات الزراعية؛ وأحياناً قليلة بمعصرة. والأكثر تميزاً في هذه البيوت هو غناها بالأنواع الزخرفية المختلفة وبتنوع أشكالها ومخططاتها.

وفي البارة مبانٍ دينية إسلامية يعود بناؤها إلى فترات مختلفة، وأهمها المسجد الكبير، وهناك خمسة مساجد صغيرة أخرى موزعة في الموقع؛ مما يدل على انتشار الإسلام في الموقع منذ الفترات الإسلامية المبكرة. وقد كشفت الأعمال الأثرية في المسجد الكبير عن المخطط الأساسي المبني وفقه؛ إذ يشغل مساحة تقدر بنحو ٧٠٠ متر مربع، وعلى الرغم من وجود انحنا في الجدار الغربي؛ فإن المخطط العام يبدو مستطيل الشكل بأبعاد ٣٥م × ٢٠م. ويتقدم المسجد رواق، إضافة إلى وجود ساحة في وسطها بئر للماء .

٦ـ سرجيلا

سرجيلا موقع أثري إلى الجنوب من إدلب، في منطقة جبل الزاوية، وإحدى المدن الميتة المنتشرة في المنطقة المسماة الكتلة الكلسية. بدأ العمل الأثري مسحاً وتنقيباً، في هذه المنطقة منذ الثلاثينيات من القرن العشرين، من خلال بعثة أثرية ترأسها الباحث الفرنسي جورج تشالنكو G.Tchalenko، ثم ترأس البعثة في الثمانينيات جورج تات G.Tate ولايزال. أعطت هذه الأعمال معلومات وفيرة عن تاريخ هذه المدن وحضارتها وتبين أن الاستقرار والاستيطان في هذه المنطقة قد بدأ منذ القرون الأولى للميلاد، و بلغت قمة تطورها وازدهارها مع انتشار الديانة المسيحية بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين، فشهدت حركة عمرانية كبيرة عمت جميع المناطق والقرى.

تعد سرجيلا من أهم وأجمل المواقع الأثرية في مدن الكتلة الكلسية، تسميتها سريانية الأصل، سرج ـ إيلا، وتعني: سرج الإله أو نور الإله، وهي اليوم خالية من السكان، ولكن بقايا أبنيتها في حالة حفظ رائعة، وأهمها الحمامات، التي يعود تاريخ بنائها إلى نهاية القرن الخامس الميلادي، ومخططها يختلف عن مخطط البيوت السكنية ويمثل نموذجاً للحمامات البيزنطية، إذ تتألف من مستطيل مقسّم إلى جزأين يتضمنان أجزاء الحمام، ويربط بينها ممرات، وبجوارها خزان ماء ضخم، حفر في الصخر تغطيه بلاطات حجرية كبيرة

وهناك قاعة الاجتماعات المربعة الشكل، التي تتألف من طابقين، ويعود تاريخها إلى نهاية القرن الخامس، ويتقدم هذه القاعة أروقة محمولة على أعمدة حجرية.

ومن آثارها كنيسة ثلاثية الأجزاء يعود تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي، وبقايا دور وبيوت سكنية عديدة، مختلفة الأشكال والمساحات، تم تعديلها على فترات متقطعة، معظمها كانت مؤلفة من طابقين ومزودة بأروقة محمولة على أعمدة، وكان الطابق الأرضي منها يستخدم للمعيشة وتخزين الأدوات والمواد، والطابق العلوي للسكن.

مرت سرجيلا، مثل بقية مدن الكتلة الكلسية في شمالي سورية بمرحلتين:

المرحلة الأولى: تقع بين القرن الأول ومنتصف القرن الثالث الميلادي، حصل بعدها تدهور بسبب الأوبئة، وخاصة مرض الطاعون الذي اجتاح المنطقة.

المرحلة الثانية: تمتد من منتصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الميلادي، وقد تميزت بالازدهار والتطور الاقتصادي والاجتماعي والعمراني. تبع ذلك حالة ركود ثم

تدهور مع نهاية العصر الأموي، وما أن حلّ القرن العاشر الميلادي حتى هُجِرت بالكامل، ليعاد استيطانها مع بداية القرن الثاني عشر الميلادي، عندما استعادها الأيوبيون من الفرنجة.

٧-براد

تعد قرية براد Brad من كبرى القرى الأثرية في الكتلة الكلسية تقع شمالي جبل سمعان باتجاه وادي عفرين، ويعتقد أن هذا الموقع كان مركز منطقة إدارية امتدت حدودها حتى الطريق الواصل بين أنطاكية وخالكيس، وفيها بقايا لمبانٍ قديمة تعود إلى العصرين الروماني والبيزنطي متمثلة بدور السكن والحمام والقبر الروماني من القرنين الثاني والثالث الميلاديين، والدير وثلاث كنائس بازيليكية، أهمها كاتدرائية جوليانوس، وهي الكنيسة الكبرى بعد كنيسة سمعان من العصر البيزنطي. وهذا بيانها:

حمام براد: مبنى روماني يتميز بحالة معمارية جيدة، ويفترض أنه كان جز اً من ملكية كبيرة خارج المدينة، وقد استمر استخدامه خلال العصر البيزنطي بعد إجراء تغييرات فيه بهدف استخدامه، وذلك ابتداء من النصف الثاني من القرن الخامس حتى منتصف القرن السابع.

أجريت تنقيبات أثرية فيه من قبل البعثة السورية الفرنسية في عام ١٩٩٤م، وتم الكشف عن الأجزا البارزة للبنا ، إضافة إلى لوحة فسيفسا مهمة، وقد تم إبقاء اللوحة في مكانها لأنها تعرضت خلال العصور الماضية إلى تدمير، لكن الصورة العامة واضحة، وتتمثل رسوماتها بالعناصر النباتية والحيوانية والهندسية.

يختلف مخطط الحمام عن مخططات الحمامات في مواقع أخرى في جبل الزاوية مثل سرجيلا، البارة. ويعد الجز الشرقي منه هو الأقدم من بين أجزا البنا الأخرى. ويتألف الحمام من أربع غرف مغطاة بقبوات مدببة من الحجارة الكبيرة، مع قبة تستند إلى مثلثات كروية، وهو تركيب خاص بالمنطقة.

الضريح الجنائزي: ضريح روماني مهم، يعود إلى القرن الثاني غالباً؛ يقع شمالي الموقع، ويتميز بوجود أربع أقواس من الطراز النموذجي السوري الروماني تحمل سقفاً هرمياً. والضريح هو قبر مؤلف من حجرة جنائزية مبنية تحت الأرض فيها خمسة نواويس، واثنان على المنصة. ويعتقد هوارد بتلرH. Butler أنه "أول قبر من هذا الطراز الخاص من المباني، والأكثر ترفاً بينها، والذي استمر بناؤه خلال القرن الرابع في سورية الشمالية".

الكنائس: نجد في براد ثلاث كنائس، أكبرها وأكثرها أهمية كاتدرائية براد المسماة بكنيسة جوليانوس (٣٩٩ - ٤٠٢م) Julianos التي كانت سابقاً معبداً وثنياً، وقد تعرضت أجزا كبيرة منها للدمار، ولم يتبق منها سوى أجزا معينة من واجهتها الغربية. بنيت الكنيسة وفق المخطط البازيليكي ذي الأبها الثلاثة ، بأبعاد ٤٢×٢٣ متراً، ويقع مدفن من القرن الخامس في شمال الحنية؛ يعتقد أنه كان مخصصاً للقديس مار مارون، أبي الطائفة المارونية المتوفى نحو ٤١٠م.

أما الكنيسة الشمالية فتقع إلى جوار الكنيسة السابقة، وتعود إلى عام ٥٦١م، وتتألف من ثلاثة أبها تفصلها ثلاث أقواس كبيرة تستند إلى ركائز، وما تزال العناصر الزخرفية الرائعة موجودة في هذه الكنيسة. وكانت الكنيستان كلتاهما جزأين من مجمع واسع له باحات وأروقة وأراضٍ زراعية.

وتقع الكَنيسة الثالثة جنوب غربي الموقع، وهي ما تزال في حالة جيدة من الحفظ خاصة في واجهتيها الجنوبية والغربية ومكان الهيكل. وتصل أبعادها إلى نحو ١٥×٨ متر، وتتألف من بهو واحد.

وأما الدير فيقع جنوبي الموقع؛ ويعدّ مجمعاً مؤلفاً من ثلاثة مبانٍ: كنيسة، دار ضيافة للحجاج، برج الناسك، إضافة إلى مقبرة ومعصرتين وقاعدة عمود الناسك.
وفي الموقع الكثير من المباني الأثرية متمثلة بالعمارة السكنية على نحو أساسي، وقد بنيت وفق تقنيات معمارية مميزة ومختلفة عن تلك الموجودة في جبل الزاوية، خاصة التي استخدمت المداميك المتعددة الأضلاع، وغير المنتظمة.

٨-بترسا

تقع بترسا Bitrsa في جبل الزاوية، جنوبي الكتلة الكلسية الممتدة شمالي سورية، إلى جوار قرى أثرية مهمة وشهيرة في المنطقة كقرية البارة ومجليا الواقعة على بعد ٥٠٠م تقريباً إلى الجنوب منها. وفي بترسا كنيستان، وبعض المدافن الأرضية، إضافة إلى عدد كبير من المباني السكنية التي تنتشر فوق السفوح المطلة على الوادي الذي يقسمها قسمين، حيث يوجد القسم الأعظم من المباني في الجهة الشمالية منه.
وتقع كنيستا بترسا في الجهة الشرقية من القرية على مسافة متباعدة نسبياً بينهما، ولم يبقَ من كلتيهما سوى أجزا قليلة من أساساتها التي تفيد في قرا ة مخططاتها المبنية وفق النمط البازيليكي الذي يضم حنية مركزية نصف دائرية بارزة نحو الخارج.
كما تحوي القرية عدداً قليلاً من المدافن الأرضية المنحوتة في الصخر، تتقدم مداخلها الأقواس المبنية من المداميك الحجرية.
أما البيوت فهي مبنية من الحجر الكلسي الذي استخرج من المنطقة نفسها، على شكل كتل ضخمة، مستطيلة الشكل، وتمت تسوية سطحها لكي يسمح بتثبيت القطع الحجرية الممتدة كصفوف ترتفع في عدد قليل منها حتى مستوى السقف. وتأخذ هذه البيوت أشكالاً وأحجاماً مختلفة، وترتفع جدرانها على طابق واحد أو على طابقين، إلا أن معظم البيوت الموجودة حتى اليوم ما زالت تحتفظ بأجزا الطابق الأول فقط المطل على باحة المنزل، وعدد من أقواس الغرف التي بنيت عليها غرف الطابق العلوي، أو أجزا من الأسوار التي كانت تحيط بها. ويعد بيت النحات من أهم البيوت وأجملها، ويتميز بكونه منحوتاً في الصخر، وقد نفذت على جدرانه الداخلية تصاميم عدة لعناصر زخرفية متنوعة تميزه من البيوت الأخرى.
وفي بعض الأحيان تساعد الأجزا المتبقية من جدران بعض البيوت وأساساتها على رسم مخطط واضح للمنزل، وتضم فتحات الأبواب والنوافذ التي تعلوها السواكف الجميلة المنقوشة بالزخارف النباتية ولاسيما أوراق الأكانثيا والكرمة، أو الهندسية كالدوائر المتداخلة، ممتدة كأفاريز على طول الساكف، تتوسطها الميداليات الدائرية التي تضم الزهور ونقوش الصلبان، و لم تخل من هذه الأخيرة تقريباً جميع الواجهات الباقية حتى اليوم، إضافة إلى كوات المشاكي المزخرفة بنقوش مألوفة في المنطقة كنقش الصدفة متعددة النماذج. وكانت تتقدم هذه الواجهات الأروقة المحمولة على الأعمدة المنتهية أعلاها بالتيجان، وكغيرها من الأجزا الأخرى للبيوت المنهارة والمنتشرة على سطح الأرض، فهي لم تنج من الكوارث التي حلت بالمنطقة خلال تلك الفترة خاصة الزلازل خلال القرن السادس الميلادي.

٩-بشيلا

قرية بشيلا الأثرية في جبل الزاوية، بالقرب من قرية البارة، ولا تبعد عنها سوى ٢كم، وتعد إحدى القرى المهمة في هذه المنطقة التي يعود الاستيطان فيها إلى العصر البيزنطي. وعلى

النقيض من بعض القرى المجاورة فهي تقع على قمة هضبة، تطل على قريتي بترسا ومجليا، وتتميز بجمال المشاهد الطبيعية المحيطة بها. وتعد الكنيسة من المباني الأثرية المميزة في القرية، تهدَّمت أجزا كبيرة منها، لكن بقيت مداخلها المزيَّنة بالزخارف قائمة حتى الآن. وتوضح البقايا المعمارية من الجدران والأبواب مخطط الكنيسة التي بنيت وفق المخطط البازيليكي، على غرار كنائس المنطقة الشمالية من سورية

وتمتلك بشيلا عدداً قليلاً من البيوت لا يتعدى الثمانية، ما تزال قائمة في مكانها، إذ تعد أصغر القرى نسبياً في المنطقة، حافظت بعضها على أجزا جيدة من واجهاتها في الطابقين السفلي والعلوي، إضافة إلى مداخلها المسقوفة بالمداميك الحجرية، كما يوجد عدد من البيوت التي تمتلك أجزا كبيرة من واجهات طوابقها الأرضية، لكن لا يتعدى علو مداميكها الحجرية صفين أعلى الساكف. كما تعرضت الواجهات الخلفية لغرف بعضها للانهيار الكامل، وفي أحد البيوت أجزا من الأروقة التي ما تزال على حالتها المعمارية حتى الآن.

وتتميز واجهات البيوت في هذه القرية بوجود عناصر زخرفية متنوعة على سواكفها تتألف من القولبات الهندسية المختلفة، أو من أشكال من أوراق الأكانثيا، وكذلك أوراق العنب وعناقيده، وأغصان الكرمة أو الزهور، كما زيّنت هذه السواكف بالميداليات المختلفة ذات الأشكال الهندسية التي تحمل إشارات دينية مسيحية من صلبان وغيرها من الرموز الدينية.

كما يوجد مقلع في الجهة الشمالية الشرقية من القرية، كانت تستخرج منه القطع الحجرية التي تسوَّى منها مداميك جدران البيوت والمباني المختلفة الأخرى في القرية.

وفي هذا الموقع مجموعة من المدافن الأرضية، وهي ذات مخططات متشابهة مع بقية المدافن الأرضية في هذه المنطقة، لكن تميز أحدها بواجهته الخارجية المبنية من المداميك الحجرية، ويتألف المدفن الأرضي عادةً من درج يليه باب يعلوه ساكف مزخرف أحياناً، يؤدي إلى داخل المدفن، وهو ممر تتوزع حوله مجموعة من معازب الدفن المحفورة بالصخر.

وهناك عدد كبير من خزانات المياه في هذه القرية لتخزين المياه فيها خلال فصلي الشتا والربيع من أجل فصل الصيف وبدايات الخريف؛ وذلك بسبب توقف الأمطار في هذين الفصلين، فتؤمِّن بذلك سبل العيش للسكان خاصة أن القرية تقع في منطقة هضبية، قد تكون نسبة المياه الجوفية فيها ضئيلة مقارنة بالمواقع الأخرى الواقعة في السهل في هذه المنطقة مثل البارة ومجليا وبترسا حيث تقع على أطراف الأودية، وفي مناطق غنية بالمياه الجوفية.

١٠ـ باقرحا

تقع قرية باقرحا في جبل باريشا على قمة عالية تطل على سهل سرمدا، في محافظة إدلب، وتعد من القرى الأثرية المهمة التي أنشئت في الكتلة الأثرية خلال العصرين الروماني والبيزنطي. والعديد من مبانيها الأثرية بحالة جيدة من الحفظ، مما يساعد على فهم طبيعة التطور المعماري فيها خلال العصرين الروماني والبيزنطي. وتجاور هذه القرية مجموعة من القرى الأثرية مثل دار قيتا وخربة الخطيب وباريشا، وداحس كما يوجد في أسفل السفح على بعد نحو ٥٠٠م دير يحمل اسم ديرونة.

المعبد الروماني: يوجد في أعلى قمة السفح معبد روماني متميز بطراز بنائه، وهو بحالة جيدة من الحفظ، ويتألف من التيمنوس Temenus (ساحة المعبد) والسيلا Cella (قدس الأقداس)، ويعود بناؤه إلى القرن الثاني الميلادي، وهذا ما تثبته الكتابات اليونانية الموجودة

في الموقع، والدالة على أن أعمال البنا قد انتهت في سنة ١٦١م. وقد كرّس هذا المعبد لزيوس بوموس، حيث تتقدم السيلا أربعة أعمدة، وما يزال كلٌّ من باب التيمنوس وواجهة المعبد الخلفية في حالة معمارية جيدة، وتثبت المعاصر حول المعبد أن الأراضي كانت ملحقة به.
وفي هذا الموقع أيضاً العديد من المباني الضخمة من العصر البيزنطي، حيث يتميز بعضها بالزخارف الرائعة، وهي مبنية من الحجارة الكبيرة المتعددة الأضلاع أو المنتظمة.
وتحتوي القرية على كنيستين؛ الأولى تقع في الجهة الغربية، والثانية في أقصى شرقي الموقع. وقد بنيت الكنيسة الغربية- وهي الأقدم- في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي، وبناها المعمار ماركيانوس كيريس Kyris Markianos، ثم أعيد ترميمها وتوسيعها في عام ٥٠١م، وهذا ما يؤكده اكتشاف نقش كتابي على ساكف الباب الجنوبي من الكنيسة. وتتألف هذه الكنيسة من مجاز مركزي وجناحين يفصل بينهما صفان من الأعمدة، وهناك بيما (كرسي المواعظ) في وسط المجاز المركزي، وتشبه الزخارف في هذه الكنيسة زخارف كنيسة القديس سمعان.
أما الكنيسة الثانية؛ فهي تقع في الجهة الشرقية من الموقع، وتتألف من مجاز مركزي وجناحين يفصل بينهما صفان من الأعمدة أيضاً، وهي ذات حنية مربعة تعود إلى عام ٥٤٦م، وقد بنيت على أساسات أقدم تعود إلى القرن الخامس الميلادي، وما تزال تنتصب حتى الآن بكامل ارتفاعها في حالة استثنائية من الحفظ.
وفي الموقع -إضافة إلى المباني المذكورة- الكثير من المباني السكنية التي تحوي واجهاتها زخارف جميلة، وقد بنيت وفق مخططات وتقنيات عالية، مما يؤكد حالة الرخا في هذه القرية خلال العصر البيزنطي، حيث دلَّ وجود الكثير من المعاصر المحفورة في الصخر في هذا الموقع على ذلك، إضافة إلى النمو الاقتصادي الذي حصل نتيجة زراعة الزيتون والكرمة وإنتاج النبيذ والزيت والتجارة بها مع المناطق المجاورة، كلُّ ذلك وفّر لأهل القرية موارد إضافية لبنا مبانٍ مهمة.

١١-بابسقا

تقع بابسقا على جبل باريشا في شمالي سورية في محافظة إدلب، ولا يفصل هذه القرية عن قرى أخرى قديمة -مثل دار قيتا وكفير - سوى جز من الطريق القديم الواقع على بعد كيلو متر واحد في الجهة الجنوبية الغربية منها.
ورد اسم بابسقا في كتابات المؤرخين العرب عند ذكرهم للمعركة التي وقعت في ٢٨ حزيران عام ٥١٣هـ/١١١٩م بين القائد التركماني نجم الدين يلغازي والأمير الصليبي روجيه دو ساليرن Roger de Salerne في مدينة أنطاكية ، حيث احتل القائد التركماني هذا الموقع قبل أيام من المعركة كي يقطع الطريق أمام انسحاب الجيوش الصليبية منها، ويتمكن من القضا عليهم.
ويعود الاستيطان في هذا الموقع إلى العصرين الروماني والبيزنطي، وهذا ما يؤكده اكتشاف نقش باللغة اليونانية يعود إلى سنة ١٤٣م، يشير إلى مشاركة السكان في بنا المعبد. وقد كانت هذه القرية مركزاً تجارياً مهماً خلال العصر البيزنطي بسبب وقوعها على الطريق التجاري بين الشمال والجنوب.

وفي بابسقا مجموعة من المباني المعمارية التي تعود إلى العصر البيزنطي، وأهمها كنيستان: تميزت الأولى منهما- وهي تعود إلى سنة ٣٩١م- بوجود بيما (كرسي المواعظ) في وسط المجاز المركزي، وحنية بارزة نحو الخارج، كما يوجد العديد من الأعمدة ذات الطرز المختلفة. وقد بناها المعماري الكاهن المعروف باسم ماركيانوس Markianos الذي بنى كذلك عدداً من الكنائس المهمة في شمالي سورية، وهذا ما يؤكده وجود كتابة على ساكف واقع في الجهة الجنوبية الشرقية من الكنيسة تشير إلى اسمه. وكانت هذه الكنيسة مقصداً للكثير من الحجاج الذين نقشوا على جدرانها الصلبان وكل ما له صلة من الرموز المسيحية، وقد تم الكشف عن مذخرين من الحجر الكلسي مزّينين بالزخارف المختلفة في غرفة المارتيريون Martyrion، حيث كانت تحفظ فيهما ذخائر القديسين، وما يتبع لهم من أثر ذي قيمة دينية مهمة. وقد طرأت على هذه الكنيسة تغيرات معمارية مهمة خلال القرن الخامس الميلادي.

أما ما تبقى من آثار الكنيسة الثانية في هذا الموقع، فهو قليل كالجز المتبقي من الجدار الغربي للكنيسة. وتشير دراسة المخطط إلى أنها بنيت وفق الكنائس البازيليكية ذات المخطط المستطيل الشكل، وقد كرّست للقديس سيرجيوس St.Serge الذي كان يتمتع بشهرة كبيرة في سورية. وتكمن أهمية هذه الكنيسة التي يعود بناؤها إلى سنة ٦٠٩ - ٦١٠م في أنها تعدّ من آخر الكنائس المؤرخة التي بنيت في الجز الشمالي من الكتلة الكلسية.

ويقع بجوار القرية ديران، يحتفظ أحدهما بدعامات الأقواس حتى اليوم، وجدران المصلى على مستوى المترين، وتم الكشف في الفسحة الجنوبية للمصلى عن عمود كتب عليه اسم كبرو (القديس غبرييل)، كما يوجد ناووس مكتوب على غطائه باللغة السريانية اسم القديس كبرو.

أما الدير الثاني الواقع إلى الجنوب الشرقي من الدير الأول- على مسافة نحو ٧٠٠ متر- فلم يبق منه سوى بعض الجدران فقط.

وفي هذا الموقع أيضاً مبنى آخر يتمثل بالأندرون Andron حيث كان يستخدم لاجتماع الرجال في القرية، وذلك للتباحث بالشؤون التجارية ذات الشأن العام، وقد بني ملاصقاً لمبنى الحمام.

وأما حمام القرية فيقع جنوبي الموقع مباشرة، ويعود إلى القرن الخامس أو السادس الميلادي، ويعد كبير الحجم بالمقارنة مع إمكانات القرية، ويتألف من القسم الحار والبارد، ومن قسم خاص يسمى صالة الاجتماع وتغيير الألبسة، إضافة إلى الملحقات المطلوبة في الحمامات.

١٢-جبل وقرية باريشا

يعد جبل باريشا Baricha أحد جبال الكتلة الكلسية السبعة التي انتشرت عليها القرى الأثرية في شمالي سورية خلال العصرين الروماني والبيزنطي. وتبلغ مساحة هذا الجبل نحو ٢١٠كم٢، ويحده من الشمال سهل العمق، وإلى الشرق منه يقع جبل الحلقة وسهل خالكيس وإدلب، وإلى الجنوب جبل الزاوية، وإلى الغرب منه يقع جبل الأعلى، ويفصل بينهما سهل الشلف. ويبلغ ارتفاع أعلى قمة فيه نحو ٦٥٠م، أما متوسط ارتفاع الجبل فيبلغ بين ٤٠٠ و٥٠٠م.

يتكون هذا الجبل من الصخور الكلسية، وتصلح تربته لزراعة الزيتون والكرمة والأشجار الحراجية، وفيه العشرات من القرى الأثرية العائدة إلى العصرين الروماني والبيزنطي، مثل داحس باقرحا دار قيتا دير سيتا ديرونة خربة الخطيب بابسقا ...إلخ. اهتم الباحثون بدراسة

الاستيطان في جبل باريشا منذ أكثر من قرن ونصف، وقد وضّحت تلك الدراسات أهمية المواقع الأثرية فيه خلال العصرين الروماني والبيزنطي، إذ ما تزال العديد من آثار المباني الوثنية بحالة جيدة من الحفظ، مثل معبد باقرحا الذي يعود إلى القرن الثاني الميلادي. أما آثار العصر البيزنطي فهي غنية، وتتمثل بوجود قرى محفوظة حتى الآن بمبانيها السكنية وكنائسها الجميلة الغنية بالزخارف المختلفة، كما توجد الخزانات المحفورة بالصخر التي تم تخزين المياه فيها خلال فصلي الشتا والربيع، وكانت توفر المياه لسكان الجبل خلال فصل الصيف وبداية الخريف.

أما قرية باريشا التي تحمل الاسم نفسه- وهو الاسم الحديث للقرية التي بنيت على أنقاض موقع أثري قديم- فلم يبق من آثارها سوى بعض أجزا جدران البيوت العائدة إلى العصر البيزنطي. وفي الموقع كنيستان؛ إحداهما في الجهة الشرقية من الموقع، والثانية في الجهة الجنوبية الغربية على بعد نحو ثلاثين متراً من الأولى. وتبلغ مساحة الكنيسة الأولى نحو ١٧×٢٧م ولم يبق منها سوى الواجهتين الشرقية والشمالية، وجز من الواجهة الجنوبية، كما بقيت أجزا من الحنية البارزة نحو الخارج، ويؤكد عدم وجود الأعمدة في المجاز المركزي أن الكنيسة قد بنيت وفق مخطط الكنائس ذات الدعامات. ومن خلال الدراسات المعمارية والزخرفية التي تمت في هذه الكنيسة يمكن إرجاع تاريخ بنائها إلى القرن السادس الميلادي.

أما الكنيسة الثانية الواقعة في الجهة الجنوبية الغربية، فلم يتبق منها سوى جز من الجدار الشمالي المزّين بالصلبان وأجزا من الأعمدة.

١٣-بحيو

تقع قرية بحيو في أعلى قمة جبل الأعلى على ارتفاع ٧٢٠م في شمالي سورية بالقرب من حدود لوا اسكندرون، وتعد إحدى قرى الكتلة الكلسية المعروفة بالمدن الميتة إلى جوار الموقع الأثري المعروف قلب اللوزة. وتبدو الأراضي الزراعية المحيطة بهذا الموقع واضحة الامتداد من خلال وجود سفح منحدر نحو سهل الشلف مباشرة، ونحو سهل العمق في الجهة الأخرى.

اعتمد سكان هذه القرية خلال العصر البيزنطي على زراعة الزيتون لإنتاج الزيت والتجارة به على نحو أساسي، وهذا ما دلت عليه المعطيات الأثرية من خلال الدراسات التي أجريت على طبيعة الأراضي الزراعية فيها، ووجود الكثير من المعاصر في هذا الموقع. ومساحة القرية صغيرة نسبياً، ويبلغ قطر الموقع نحو ١٥٠م، وقد بنيت فيه الكثير من المباني بشكل متراص، أما حالة حفظ المباني فهي متوسطة، لكن من السهل التعرف على طبيعتها في هذا الموقع؛ من خلال دراسة مخططاتها التي توضح وظيفتها بصورة كاملة.

دُرِس هذا الموقع من قبل الكونت دوفوغيه De Vogué وبتلر H. Butler، ودُرِس على نحو أكثر تفصيلاً من قبل جورج تشالنكو G. Tchalenko، وأدت تلك الدراسات إلى نتائج مفادها أن الاستيطان في هذا الموقع بدأ في مطلع القرن الخامس الميلادي عندما بدأ أحد الملاكين الأثريا ببنا أول بيت كبير، وتتابع بعدها بنا بيوت أخرى حوله، شكلت نواة القرية خلال القرن الخامس، واستمر التطور فيها كذلك خلال القرن السادس الميلادي. ويمكن تقسيم تاريخ الاستيطان في الموقع إلى أربع فترات:

الفترة الأولى: بدأت ببنا البيت الكبير، والكنيسة الواقعة إلى الجهة الغربية من الموقع، إضافة إلى حارة صغيرة واقعة غربي الكنيسة. وأشارت الدراسات المعمارية التي قام بها بتلر على الكنيسة إلى أنها عائدة ببنائها إلى القرن السادس الميلادي، أما جورج تشالنكو الذي درسها

على نحو تفصيلي فأعادها إلى القرن الخامس الميلادي، وهي تمثل واحدة من المباني الأقدم في القرية، المبنية وفق مخطط الكنائس مستطيلة الشكل، حيث يوجد في وسط المجاز «البيما» (كرسي المواعظ) وغرفتان مبنيتان إلى جانبي الحنية.
الفترة الثانية: بنيت خلال هذه الفترة مجموعة بيوت في الجهتين الشمالية والجنوبية من القرية، وهي أقل حجماً من البيوت التي تعود إلى الفترة السابقة. ويعود إلى هذه الفترة الكثير من معاصر المنطقة التي تؤكد التطور الذي حصل على زراعة الزيتون فيها.
الفترة الثالثة: بنيت كنيسة أخرى في الجهة الشرقية من الكنيسة السابقة على بعد نحو ثلاثين متراً، وتبلغ أبعادها ١٩×١٢م تقريباً، وتتألف من مجاز مركزي وجناحين، ولا يوجد فيها بيما على شاكلة الكنيسة السابقة، حنيتها شبه دائرية، وهي غنية بالعناصر الزخرفية المهمة في هذا المبنى. ومن خلال دراسة العناصر المعمارية والزخرفية معاً تبين أن بنا ها يعود إلى القرن السادس الميلادي. وأضيف عدد من المباني السكنية في الجهة الشمالية، وفي الجهة الجنوبية، وهي معاصرة لبنا الكنيسة، ويمكن التعرف على طبيعة هذه المباني من خلال مخططاتها، إذ اكتمل شكل القرية بوضوح خلال هذه الفترة.
الفترة الرابعة: بنيت فيها بعض المساكن المتواضعة الملاصقة للمعاصر، والبعيدة عن مركز القرية، وعلى ما يبدو فإن هؤلا القاطنين قد وجدوا صعوبة ببنا بيوت مهمة لعدم تملكهم للأراضي الزراعية التي توفر لهم الإمكانات المطلوبة من الناحية الاقتصادية، لأنهم كانوا عمالاً فقرا عملوا في معاصر بحيو.
ويقدم هذا الموقع معلومات مهمة عن الوضع الاجتماعي في شمالي سورية، حيث دلّت الدراسات المعمارية عن بيوتها السكنية على وجود طبقات اجتماعية عدة في هذه القرية من ملاكين كبار ومتوسطين وصغار، إضافة إلى وجود عمال يعملون في معاصر الزيتون، خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين، كما أشارت تلك المعاصر إلى النهضة الاقتصادية التي عاشتها هذه المنطقة خلال القرون المذكورة.

١٤-دير سمعان

قرية صغيرة تقع على جبل سمعان، على بعد ٦٠كم غربي مدينة حلب، وعلى الطريق الروماني القديم قورش - خلقيس (قنسرين)، ويقول ياقوت الحموي نقلاً عن العمراني إن سمعان اسم وموقع بالشام فيه قبر الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز. ويجب عدم الخلط بين قرية دير سمعان وقلعة سمعان، على الرغم من ارتباط حياة القرية لفترة من الزمن بالقلعة، يبدو أن القرية كانت قائمة قبل قيام قلعة سمعان في العصر البيزنطي، حيث كانت تسمى «تيلانيوس»، وكانت في هذا العصر مركزاً دينياً مرموقاً ترنو إليه أعين طالبي المعرفة والتثقيف بالدين المسيحي، كما وفد إليها الحجاج من بلدان عدة، هذا إلى جانب كونها منتجعاً لأهل مدينة أنطاكية، وهي اليوم قرية في مركز منطقة عفرين تقوم بين أنقاض خرائب تيلانيوس، مما سبب ضرراً بالغاً لبقاياها التاريخية، ويسكنها اليوم بعض العائلات.
ويظهر من دراسة البيئة الجغرافية المحيطة بقلعة سمعان أنها قامت في منطقة مأهولة بالسكان ذات صخور كلسية، كان يزرع أهلها أشجار الكرمة والتين والزيتون، ولا تزال بقايا هذه الزراعة قائمة إلى اليوم. وإضافة إلى ذلك يزرع الأهالي اليوم بعض المحاصيل الصيفية والخضار ويربون الماشية، حيث يوجد بالقرب منها سهل الفاطورة وسهل عفرين. أما مناخ المنطقة فبارد وممطر في الشتاء ومعتدل في الصيف.

تقع قلعة سمعان فوق نتوء صخري في جبل سمعان يرتفع نحو ٥٦٤م عن سطح البحر. وإن الحديث عن قلعة سمعان يفرض الحديث عن الرجل الذي أعطى اسمه لهذه القرية، فقد ظلت القرية حتى أواسط القرن الخامس الميلادي مركزاً زراعياً فقيراً، وبيوتها متواضعة، ثم ازدهرت وأصبحت ذات شهرة واسعة اكتسبتها في حياة مار سمعان العمودي وبعد وفاته.

ولد القديس سمعان العمودي في قرية سيسان في كيليكيا سنة ٣٨٩م، كان راعي أغنام، ترهَّب في الثالثة عشرة من عمره، فلازم عدداً من الأديرة وروَّض نفسه على الحياة القاسية والصوم، وذاع صيت ورعه، فأقبل الناس عليه للزيارة والتبرك فضجر منهم وأحب الاعتزال، مما دفعه إلى إقامة عمود لنفسه، وآثر العيش فوقه، ومن هنا جاءت تسميته بالعمودي. وبلغ مجموع ما أقامه من السنين فوق الأعمدة الثلاثة الأخيرة نحو تسع وثلاثين سنة، وظل على حياة التقشف والحياة فوق العمود حتى أدركته الوفاة سنة ٤٥٩م، ودُفن في مدينة أنطاكية في كنيسة قسطنطين الكبير.

وتكريماً للقديس سمعان، تم تشييد الكنيسة الرهبانية الكبرى في أواخر القرن الخامس الميلادي بين عامي ٤٧٦ و٤٩٠م على شكل صليب. وتتألف الكنيسة من أربعة أضلاع يتوسطها شكل مثمن يقوم في وسطه العمود المقدس الذي كان يتعبد فوقه القديس سمعان، ويقوم هذا الشكل المثمن بوظيفة الموزّع لأقسام (لأضلاع) الكنيسة الأربعة عبر أقواس أربع، قوس لكل ضلع، وأرضية المثمَّن مبلّطة بأحجار كبيرة لازالت بقاياها موجودة. ويلحق بالكنيسة الرهبانية الكبرى الدير لسكن الرهبان وطلاب العلم والمدافن والمعمودية، وهي ذات شكل مثمن وأرضها مرصوفة بالفسيفساء. كما بُنيت الفنادق والفيلات الجميلة والمخازن، وأُنشئ طريق صاعد دُعي بـ «الطريق المقدس» لتيسير وصول الزوار من القرية إلى الكنيسة الكبرى وزيارة العمود، وأُقيمت في بداية هذا الطريق قوس نصر فخمة لا يزال قسمها الغربي سليماً إلى اليوم.

وازداد أيضاً عدد الأديرة والكنائس، إذ شُيّد في القرية ثلاثة أديرة مع كنائسها وكنيسة رابعة على حدة، وتحيط بالقرية من أطرافها الأربعة. كان هذا كله بفضل سخاء الحجاج والزوار والحركة التجارية الناجمة عن ذلك. وحين فتح العرب المسلمون سورية أبقوا الكنيسة الكبرى والدير بيد المؤمنين المسيحيين وفقاً لتقاليدهم. وعندما ضعفت الدولة العربية الإسلامية، استطاع البيزنطيون سنة ٩٦٩/٩٧٠م السيطرة على كنيسة سمعان وحصنوها ورصفوها بالفسيفساء، وأجروا عليها بعض الإضافات والإصلاحات فتحولت إلى قلعة منيعة. فقد أُضيفت إليها أسوار وأبراج لا تزال بقاياها إلى اليوم، كما أُضيفت إليها أقسام دفاعية. وبتلك التحصينات أصبحت كنيسة سمعان ذات موقع حصين وسط قلعة منيعة، فأُطلق عليها اسم «قلعة سمعان»، وظلت القلعة بيد البيزنطيين تشكل حصناً دفاعياً منيعاً أمام حدود إمارة حلب الحمدانية. وفي عام ٩٨٦م استعاد الحمدانيون قلعة سمعان، وفي عام ١٠١٧ نجح الفاطميون في السيطرة عليها، وظلت قلعة سمعان لؤلؤة الشرق المسيحي ومحط أنظار الحجاج، شامخة بعمود مار سمعان وبمبانيها الدينية والكنيسة والرهبانية، عامرة بسكانها الرهبان والنسَّاك، مزدهرة بالحجاج والزوار حتى أوائل القرن السابع الميلادي، واستمرت مأهولة بالسكان دون انقطاع حتى نهاية القرن الثاني عشر، وأخيراً استولى نور الدين سنة ١١٦٤م على الدير وأخذ كل رهبانه أسرى إلى حلب، فتوقف كل شيء فيه، وهُجرت قرية دير سمعان وقلعة سمعان. وبعد ذلك التاريخ أضحت قلعة سمعان مقفرة خربة تشمخ بأطلالها.

ويتكون مجمع قلعة سمعان الأثري اليوم من حقل خرائب فسيح، ولا تزال بقية من العمود ماثلة حتى اليوم في فناء الكنيسة على قاعدة منحوتة في الصخر. وقلعة سمعان اليوم هي هدف السائحين ومحط إعجابهم ودهشتهم. وتبرز القلعة والكنيسة عبقرية العمارة السورية في العصر الروماني، وتعبران عن ولع وتقى إلهي كبيرين. وقد قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف في سورية بترميم القلعة وكنيستها، وحوَّلت القلعة إلى مركز سياحي يقدم الخدمات للزائرين، ولا تزال أعمال المديرية مستمرة في قلعة سمعان.

المدن الأثرية

١-حبوبة الكبيرة

تل أثري يقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات الأوسط، على بعد ٨٠كم تقريباً إلى الشرق من مدينة حلب، تبلغ مساحته نحو ١٨ هكتاراً، وشكله بيضوي، ويبلغ قطره نحو ٢٣٠م، وهو يرتفع نحو ٩م عن محيطه، وقد تم تنقيبه بين عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٤م، في إطار حفريات الإنقاذ التي جرت أثناء إقامة سد الفرات، حيث شرعت جمعية الشرق الألمانية عام ١٩٦٩ في هذا العمل بإشراف ايفا شترومانغر (STROMANGER E.)، وأنجزت تسعة مواسم من الحفريات أدت إلى كشف مدينه تعود لثقافة أوروك، وتؤرخ على نهاية الألف الرابع ق.م، وهي اليوم مغمورة بمياه بحيرة الأسد.

شيّدت مدينة حبوبة الكبيرة وفق مخطط مسبق، تألف من شبكة من الشوارع الرئيسة والفرعية، أهمها شارعان كبيران موازيان للفرات، يقطعان المدينة من الشمال إلى الجنوب، وهناك أيضاً شوارع فرعية مرصوفة بالحصى، تمتد باتجاه شرق-غرب لتقسم المدينة إلى قطاعات متعددة، يكتظ كل منها بالمباني المنوعة. بلغت مساحة المدينة نحو ١٨ هكتار، ويحيط بها من جهاتها البرية الثلاث سور مشيّد وفق نسق واحد، وله تسعة أبراج دفاعية بين الزاوية الشمالية والغربية، وتسعة أبراج دفاعية أُخرى بين الزاوية الجنوبية والغربية، وكانت تلك الأبراج مستطيلة الشكل، وتضم حجيرات صغيرة في داخلها، وقد زينت الواجهات الخارجية للأبراج بمحاريب تزينية. شيّد السور من الآجر بشكل مزدوج، وبلغ عرضه ثلاثة أمتار، وطوله ٦٠٠م، يتقدم السور الرئيسي سور آخر تبلغ سماكته ٧٠سم، مبني بألواح الآجر الصغيرة ذات الشكل المستطيل، ويخترق السور الرئيسي والثانوي كافة مجاري تصريف المياه القادمة من شبكة المدينة لتصب خارج الأسوار. وللمدينة بوابتان شمالية وجنوبية لهما برجان دفاعيان، ولكل منهما مصراعان لتسهيل عمليات العبور.

وفيما يخص المساكن، فقد امتدت على شكل شريط ضيق، جرى توسيعه مع مرور الزمن، وأصبحت أحياء المدينة السكنية تغطي كافة قطاعاتها داخل الأسوار. بنيت المساكن بألواح اللبن الصغيرة والمستطيلة الشكل، وكسيت جدرانها الداخلية والخارجية بطبقة طينية، وامتازت تلك المساكن بالاتساع، ويمكن تمييز نموذجين رئيسين منها هما:

النموذج الأول: شيّد وفق المخطط الثلاثي الموروث من ثقافة العبيد، ويتألف هذا المخطط من قاعة متوسطة مستطيلة الشكل وعلى جانبيها الطولانيين ترتصف غرفتان بالعرض نفسه، وبعض هذه البيوت وجدت فيها قاعة متوسطة بهيئة حرف (T) اللاتيني، وقد تضمنت القاعة المتوسطة في هذا النموذج موقد نار محفور في الأرضية.

النموذج الثاني: يتألف من باحة سماوية كبيرة ترتصف غرف عريضة على طول ضلعيها أو ثلاثة من أضلاعها، ويوجد ضمن غرف هذا النموذج مواقد مماثلة لمواقد النموذج الأول، وتتألف بعض البيوت من تركيب بين النموذجين مثل البيت الكبير.

وعثر في هذه المدينة على آثار كثيرة ومتنوعة، بينها الأواني الفخارية المختلفة الأشكال والوظائف ولاسيما تلك المسماة الآنية الناقوسية. وهناك الأواني الحجرية الجميلة والأدوات النحاسية والدمى والأحجار الكريمة والحلي والقوالب والأختام الأسطوانية. ومن أهم ما كُشف في هذه المدينة اللوحات الطينية التي تحمل أشكالاً ورموزاً، هي أبكر أنواع الكتابة

التصويرية، التي شكلت الحد الفاصل بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية القديمة.
كانت حبوبة الكبيرة، التي نجهل اسمها القديم، مدينة مهمة على ضفة الفرات الأوسط، حيث تتقاطع الطرق التجارية لبلاد الرافدين وبلاد الشام والأناضول، لكن هذه المدينة لم تعمر أكثر من قرن ونصف القرن تقريباً، مما دفع بعض الباحثين إلى عدّها مستوطنة سومرية، اختفت ربما بفعل حريق أتى عليها، لتبقى آثارها، إلى جانب المدن السومرية الباكرة، كالوركاء، دليلاً على التطور العمراني والوحدة الحضارية التي سادت في مختلف أرجاء المشرق العربي القديم في نهاية الألف الرابعة ق.م.
ويلحق بمدينة حبوبة الكبيرة تل قناص الذي يُعدّ المركز الديني لمدينة حبوبة الكبيرة، يقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات الأوسط إلى الجنوب من موقع حبوبة، وعلى بعد نحو ١٥كم من مسكنة، وقد تم تنقيبه في سبعينيات القرن الماضي من قبل بعثة أثرية بلجيكية تعمل بإشراف أندريه فينيه (FINET A.)، وعثر فيه على آثار استيطان امتد بين الألف الرابع والألف الثاني ق.م.
يُعدّ تل قناص المركز الديني لمدينة حبوبة الكبيرة، حيث كشف فيه عن بقايا مجمع كبير ضم ثلاثة معابد، زينت جدرانها بالمسامير الطينية والحجرية الملونة، وهذه المعابد وهي: المعبد الشمالي والمعبد الجنوبي وبينهما المعبد الشرقي:
المعبد الشمالي: تبلغ أبعادة ١٨.٦٠×١٦.٤٠م، وهو مبني وفق المخطط الأوروكي ثلاثي العناصر، حيث توجد صالة مركزية في الوسط (تحوي على حوضين مقدسين) باتجاه شمال جنوب يحيط بها خمس غرف، اثنتان في الجدار الشرقي وثلاث في الجدار الغربي، أبوابها متناظرة وتنفتح على الصالة المركزية. وقد استخدمت العوارض الخشبية واللبن في بناء هذا المعبد، وطليت جدرانه التي تبلغ سماكتها ١.٤٥م بالطين، أما السقف فهو محمول على أعمدة خشبية ومغطى بالخشب والطين.
المعبد الشرقي: وهو نموذج مصغر عن المعبد الشمالي، صالته المركزية باتجاه شرق غرب، ويحيط بها خمس غرف، اثنتان على امتداد الجدار الشمالي، وثلاث على امتداد الجدار الجنوبي، ولهذه الغرف أبواب متناظرة تنفتح أيضاً على الصالة المركزية، كما يحيط بها مستودعات.
المعبد الجنوبي: بني وفق مخطط مختلف عن المعبدين السابقين، وهو يتألف من صالة واحدة، أبعادها ١٤م×١٠م وسماكة جدرانها ٢م، ولها نفس اتجاه الصالة المركزية في المعبد الشمالي، وهي مزينة بمحاريب صغيرة وكبيرة متناظرة ومتساوية في أبعادها، ويقوم على الجدار الشمالي للمعبد منضدة مستطيلة، وعلى جانبيها الطوليين مصطبتين لممارسة الشعائر.
وعثر في هذا الموقع أيضاً على أواني فخارية، بعضها مستورد وأكثرها مُصنَّع محلياً، وصُنعت تلك الأواني إما باليد أو باستخدام الدولاب، وحمل بعضها إشارات غريبة، يمكن أن تكون نوعاً من الكتابة التي تدل على محتوياتها، كالجرار الكبيرة التي خُزنت فيها مختلف أنواع الحبوب والبضائع، وحملت طبعات أختام حددت مصدر هذه الجرار وملكيتها. وقد تباينت هذه الأواني بين العادية ذات الاستخدام اليومي مثل الآنية الناقوسية، والأواني ذات النوعية الجيدة والمزخرفة التي خُصصت للاستخدام الخاص في المراسم الدينية أو الاجتماعية، بينها جرار من الألباستر الجميل.

كما عثر في هذا الموقع على أختام وطبعات أختام على أبواب البيوت وسدادات الجرار وأغطيتها، وقد عبّرت تلك الطبعات عن الموضوعات المتداولة في ذلك العصر، مثل الأعمال اليومية للرجال في الصيد والحرب، والحيوانات المفترسة وهي تهاجم قطعان الماشية، وهناك مشاهد الناس الذين يقومون على خدمة الكهنة والمعبد، وتجسيد المخلوقات الغريبة كالنسر برأس أسد...

وعلاوة على ذلك فقد عثر على كرات طينية، وهي عبارة عن قطع صغيرة من الطين ذات أشكال متنوعة دائرية ومخروطية وبيضاوية ومغزلية أو هرمية، بعضها مثقوب وبعضها الآخر وُجد ضمن مغلفات طينية. وتشير الدراسات إلى أنه كان لتلك الكرات وظيفة حسابية، حيث يمثل هذا النوع من اللقى أحد أقدم أساليب الحساب، وقد سبق ابتكار الكتابة ببضع مئات من السنين. وعثر أيضاً قي هذه المستوطنة على الكثير من الأدوات الحجري والعظمية، وكذلك حلي وأدوات زينة وقواقع وأحجار مقاليع.

وبعد ذلك هجرت المستوطنة وأعيد استخدامها كمقبرة في العصر الأكادي في النصف الثاني للألف الثالث ق.م، وأصبح هذا الاستخدام أكثر أهمية في نهاية الألف الثالث ومطلع الألف الثاني ق.م؛ ثم هُجر الموقع لأكثر من ألفي سنة تالية، ولم يُستخدم إلا مقبرة في العصر الروماني والإسلامي

٢-إبلا

يقع تل مرديخ [إبلا Ebla] على بعد نحو ٥٥كم إلى الجنوب الغربي من مدينة حلب ، ونظراً للأهمية الاستثنائية التي يتمتع بها، فقد تم البدء بتنقيبه منذ عام ١٩٦٤م من قبل البعثة الأثرية الإيطالية العاملة تحت إشراف البروفيسور باولو ماتيية (Paolo Matthiae)، الذي تمكن من كشف بقايا استيطان مستمر يغطي الفترة الممتدة من العصر الحجري النحاسي حتى العصر البيزنطية، كما تمكن من تحديد فترتين ذهبيتين في تاريخ المدينة، وهما الفترة العائدة لعصر البرونز القديم [عصر المحفوظات الملكية التي تؤرخ على نحو ٢٥٠٠ ق.م]، والفترة العائدة لعصر البرونز الوسيط [١٩٠٠ إلى ١٦٠٠ ق.م].

اكتشاف إبلا: ورد ذكر إبلا في العديد من النصوص الرافدية والغير رافدية، وكان أقدمها النص العائد لعصر شروكين الأكدي [٢٣٤٠-٢٢٨٤ ق.م]، الذي دون على أحد الألواح، وجاء فيه «شروكين الملك خرّ خاشعاً في توتول أمام دجن وصلى، الأرض العليا أعطاه: ماري- يارموتي- إبلا وحتى غابة الأرز وجبال المعدن الثمين»، وقد تم تفسير هذا النص على أن الإله دجن أعطى شروكين المنطقة الممتدة من مدينة ماري على الفرات حتى جبال الأمانوس على ساحل البحر المتوسط، وكان يدعى البحر الأعلى. وبالاعتماد على تلك النصوص بدأت عمليات البحث عن إبلا، وأختلف العلماء حول موقعها، فمنهم من يرى أنها تقع في وادي البليخ، ومنهم من يعتقد أنها تقع في منطقة ماردين، ويرى آخرون أنها موجودة في أماكن أخرى، واستمر هذا الجدل العلمي حتى عام ١٩٦٨م، عندما عثرت البعثة الآثرية الإيطالية في تل مرديخ على تمثال من البازلت لأحد ملوك إبلا ويدعى إيبيط - ليم - Ibbit Lim بن إغريش – خيبا Igrish - Chepa، لم يبقى من هذا التمثال إلا الجذع، الذي دونت على الجزء العلوي منه كتابة مسمارية باللغة الأكدية مؤلفة من ٢٦ سطراً، وهي تشير إلى أن الاسم القديم لهذا الموقع هو إبلا، لورود كلمة إبلا مرتين في النص، مرة صفة ومرة اسماً، ومع ذلك رفضت طائفة من العلماء في البدء هذه المطابقة، ولم يقتنعوا بأن تل مرديخ هو موقع إبلا، إلا أن كشف المحفوظات الملكية في هذا الموقع في عامي ١٩٧٤ و١٩٧٥م لم

يدع مجالاً للشك في أن إبلا تقوم في موقع تل مرديخ. تعود المحفوظات الملكية التي عثر عليها في هذا التل إلى النصف الثاني من الألف الثالث ق. م، نصوصها مكتوبة بالخط المسماري، وبلغة جديدة لم تكن معروفة سابقاً، ويرى ماتييه أن التمثال يعود، لدواع تاريخية وفنية، إلى حقبة ما بين ٢٠٠٠ - ١٩٠٠ ق.م. وتؤيد ذلك الحجج الكتابية واللغوية لتاريخ الكتابة، ثم إن استخدام اللغة الأكدية لكتابة النص على التمثال يدل على حدوث تحول في ثقافة إبلا نحو عام ٢٠٠٠ق.م، كما أن ركاكة الكتابة وعدم دقتها يدلان على تراجع ثقافي.

أهم المعالم الأثرية في إبلا:

السور والأبواب: كانت مدينة إبلا محصنة بسور ضخم مبني من الحجر واللبن، وله أربع بوابات ضخمة تحميها الأبراج الدفاعية القوية، وقد صمم هذا السور على النمط المعروف بالسور السفح، وهو عبارة عن جدار عريض عند قاعدته ويضيق كلما اتجه نحو قمته، وقد بلغ طول هذا السور نحو ٣ كم، وبلغ عرضه عند قاعدته ٤٠ م، أما ارتفاعه فقد بلغ نحو ٢٠ م، ودعم قسمه الأسفل حتى ارتفاع أربعة أمتار ببلاطات حجرية كبيرة، بينما كسي قسمه الأعلى بطبقة من الطين والجص. وكانت تخترق هذا السور أربع بوابات رئيسية أخذت كل واحدة منها اسم إله من آلهة المدينة، وتوزعت تلك البوابات بشكل متناظر في الجهات الشمالية الشرقية، والجنوبية الشرقية، والشمالية الغربية، والجنوبية الغربية، وتعد البوابة الجنوبية الغربية التي تعرف ببوابة دمشق النموذج الأفضل لبوابات مدينة إبلا ، وهي عبارة عن أبواب متتالية تحيط بكل واحد منها غرف للحرس، وتتألف البوابة من قسمين رئيسيين داخلي وخارجي تفصل بينهما باحة تأخذ شكل شبه المنحرف، أما بالنسبة للبوابات الأخرى فتعرف البوابة الشمالية الغربية ببوابة حلب ، وتعرف البوابة الشمالية الشرقية ببوابة الفرات، أما البوابة الجنوبية الشرقية فتعرفت ببوابة السهوب.

القصور: عثرت البعثة الإيطالية العاملة في تل مرديخ على عدة قصور، كان من أبرزها القصر الملكي G والقصر الغربي Q والقصر الشمالي P:

القصر الملكي G: شيد من اللبن على المنحدر الغربي للتل المركزي [الأكروبول] خلال عصر البرونز القديم ٤ – أ، وحفظت جدرانه حتى ارتفاع ٧م، وهو بناء كبير ومنظم حول باحة كبيرة تسمى باحة الاستقبال، ولكن مخططه غير مكتمل بسبب تعرضه للانجرافات، ويتألف القطاع الرئيسي في القصر من باحة الاستقبال المربعة، وهي مروقة من الجهتين الشمالية والشرقية، ومجهزة بمصطبة من اللبن في الرواق الشمالي، ومبنية بشكل ملاصق للجدار الشمالي للباحة، ويعتقد بأنها قاعة العرش، ولكن يرجح بعض الباحثين أن قاعة العرش الرئيسية لم يعثر عليها بسبب الانجرافات. ويرتبط العرش الملكي بالمساكن الملكية الموجودة في الطابق العلوي مباشرةً عن طريق درج مبني في برج مربع موجود في زاوية الباحة الشمالية الشرقية، وإلى الشمال من باحة الاستقبال يوجد جناح التخزين المؤلف من العديد من الغرف، وإلى الشرق من هذه المنطقة يوجد جناح أطلقت عليه البعثة مجازاً اسم الجناح المركزي وهو يحتوي على حجارة الطحن والمدقات الحجرية مما يدل على أن هذا الجناح كان قد خصص لتجهيز المواد الغذائية. وفي الجزء الشرقي من باحة الاستقبال هناك درج ضخم ذو درجات من البازلت يصعد على منحدر الأكروبول إلى غرفة في الأعلى لم يعد لها أثر اليوم. أما الجناح الإداري للقصر فيقع إلى الجنوب من الدرج الضخم، وعثر فيه على الكثير من الرقم وهو جناح يحتوي غالباً على باحة صغيرة وربما على قاعة عرش، كما عثرت البعثة على غرف تخزين تابعة للقصر سميت المخزن الجنوبي، ولا بد من الإشارة

أيضاً إلى اللقى الأثرية الهامة التي عثر عليها في هذا القصر والتي كان من أبرزها تمثال صغير من الخشب متفحم بسبب الحريق الذي تعرض له القصر وهو يمثل أحد ملوك إبلا، وكذلك تمثال ثور بري برأس إنسان مصنوع من الخشب ومكسو بالذهب.

القصر الغربي Q: يعود هذا القصر للألف الثاني ق. م، وهو يعتبر من القصور الفخمة، ويأخذ شكل مستطيل غير منتظم ، ويتألف من طابقين، وفي عدة أجزاء منه توجد أدراج من بينها درج ضخم في الجانب الشمالي. جدرانه الخارجية سميكة، ويعتمد تصميمه الداخلي على رصف وحدات سكنية متجاورة ومتماثلة، ويفصل بينها جدران متوازية، وتتألف كل وحدة سكنية من تلك الوحدات من باحة سماوية تقوم خلفها غرفتان، وفي بعض الأحيان ثلاث غرف.

القصر الشمالي P: يعود هذا القصر للألف الثاني ق.م، وهو مخصص على الأرجح للاحتفالات الرسمية، وله شكل شبه منحرف ، وذلك لأن حائطيه الخارجيين الشرقي والغربي قد أقيما فوق حائطي القصر القديم مباشرة. تبلغ مساحة هذا القصر نحو ٣٦٠٠م٢، ويقع مدخله على الجانب الغربي، ويقع الجناح المخصص للخدمات على الجانب الشمالي، بينما تحتل الجانب الشرقي منه مخازن المواد الغذائية.

المعابد: بالإضافة للقصور سابقة الذكر فقد عثرت البعثة الإيطالية العاملة في تل مرديخ على عدة معابد، ومن أبرزها:

معبد عشتار أو المعبد D: كرس هذا المعبد للإلهة عشتار، وهو يرتبط بشكل وثيق بالقصر الملكيG ، ويتألف من بناء مستطيل الشكل تبلغ أبعاده نحو ٢٨×٧.٢٠ م، وتبلغ سماكة جدرانه نحو أربع أمتار، وله مدخل عرضاني ذو رواق من الجهة الجنوبية، يليه غرفة عرضانية أخرى، ثم حرم طولاني تبلغ أبعاده نحو ١٢.٤×٧.٢٠م، وله ثلاثة أبواب على محور واحد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، وينتهي المعبد بقدس الأقداس الواقع في الجهة الشمالية في صدر المعبد.

معبد رشف ١ B: وهو مخصص على الأرجح للإله رشف إله العالم السفلي والطاعون والحرب، وقد وجد في أنقاضه حوض نحت عليه مشهد بارز لوليمة ربانية، لكنه يضم في وجوهه الأخرى نحتاً بارزاً لأشكال محاربين، وهو يشير إلى الأجواء المحيطة بالإله رشف، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن النصوص المكتشفة في إبلا تطلق على باب المدينة الرابع والحي الرابع اسم باب وحي الإله رشف، ويقع هذا المعبد فعلاً في الحي الرابع المواجه لباب رشف.

المعبد ٢ B: مخططه غير منتظم، ويعتقد باولو ماتييه أن هذا المعبد هو هيكل الموتى، وهو يتألف من هيكل كبير في الوسط، وله مصطبة ومدخل محوري منكسر، وتحف بالهيكل الكبير هياكل مربعة ومستطيلة أصغر حجماً، ويعتبر هذا الطراز من المعابد مجهولاً في تصنيف المعابد المخصصة للأرباب في بلاد الشام.

حرم عشتار: يقع في المنطقة المنخفضة، ويتألف من هيكل طويل مفتوح على فضاء واسع، وقد كان جزءاً من مجمع كبير للعبادة [منطقة عبادة عشتار].

معبد شمش: يقع هذا المعبد شمال المنطقة المنخفضة، وشرق منطقة عبادة عشتار، وهو مكرس لإله الشمس شمش، ويتألف من هيكل طويل ذو تقسيمات خاصة.

المقابر الملكية: أثمرت أعمال التنقيب في تل مرديخ في كشف مقبرة ملكية تعود لعصر البرونز الوسيط، عثر عليها في القصر الغربي، وهي مؤلفة من أربعة مدافن أرضية في

المنطقة الوسطى من القصر، وعثر أيضاً على ثلاثة مدافن أخرى يعتقد ماتييه أن لها وظائف جنائزية. كانت المدافن الملكية المكتشفة في وسط القصر مؤلفة من الكهوف المتصلة مع بعضها البعض، وتشير المكتشفات الأولية إلى أن مدفن الأميرات الواقع في الجنوب والمؤرخ على نحو ١٨٠٠ ق.م هو أقدم تلك المدافن، ويليه في الاستخدام الجنائزي المدفن الواقع إلى الشرق منه والذي أطلق علية اسم مدفن سيد الماعز وهو يؤرخ على نحو ١٧٥٠ ق.م، أما المدفن الواقع إلى الغرب فهو الأحدث عهداً ويؤرخ على نحو ١٧٠٠ ق.م، وقد أطلق عليه اسم مدفن الخزانات.

نهاية إبلا: كان لموقع إبلا الإستراتيجي على طريق القوافل التجارية أثره السلبي كما كان له أثره الإيجابي، فكما كان هذا الموقع سبباً في ازدهارها كان أيضاً السبب الذي أدى للقضاء عليها، حيث وضع الملوك الأكاديين منذ بداية ظهورهم هدفاً يتلخص في القضاء على إبلا التي تشكل بالنسبة لهم المنافس التجاري المتحكم بالتجارة عبر الفرات، فقام شاروكين ونارام سن بحملات عسكرية ضدها، وأدعى كل منهما أنه دمر المدينة، ويرجح الباحثون آثار الحريق والتدمير الموجودة في قصر إبلا الملكي G إلى تلك الحملات، ولكن استمرار ذكر إبلا في النصوص العائدة إلى ما بعد عصر نارام سين يشير إلى انبعاث المدينة من جديد وعودتها لممارسة دور في الحياة السياسية والاقتصادية للشمال السوري، وإن كان هذا الدور أقل أهمية من الدور الذي كانت تمارسه سابقاً، وقد استمرت هذه الفترة من نحو ٢٠٠٠ إلى ١٦٠٠ ق. م. وجاءت نهاية إبلا كمدينة مع تقدم الملوك الحثيين نحو شمال سورية بدءاً من عهد خاتوشيلي الأول، ومن المؤكد أن إبلا تعرضت للتدمير مجدداً أثناء حملة مورشلي الأول نحو شمال سورية وبلاد الرافدين عام ١٥٩٥ ق. م.

٣ـألالاخ

ألالاخ (Alalakh)، وهي من الممالك الذائعة الصيت في نصوص ماري وآشور العائدة للألف الثاني ق.م. تم اكتشاف موقعها في عام ١٩٣٩م من قبل الآثاري الانكليزي ليونارد وولي (L. Woolley) في موقع تل عطشانة (Tell Atchana) الواقع على نهر العاصي في سهل العمق شمال غرب سورية، حيث تمكن وولي من كشف ست عشرة طبقة أثرية في هذا الموقع، وهي تؤرخ على فترتي البرونز الوسيط والحديث، ويمكننا تتبع تاريخ ألالاخ في الطبقتين السابعة والرابعة من خلال النصوص المكتشفة فيهما، بينما يمكننا تتبع تاريخها في بقية الطبقات عن طريق الشواهد الفخارية والأثرية.

العمارة: أثمرت أعمال التنقيب في ألالاخ في كشف العديد من المنشآت المعمارية التي كان من أبرزها القصور والمعابد، بالإضافة للبيوت الخاصة والأسوار والأبواب والأبنية الدفاعية والتحصينات. بالنسبة للقصور، كان القصر الملكي في السوية السابعة يتألف من كتلة طولانية ممتدة من الشمال إلى الجنوب الشرقي بطول ٩٠م، وعرض ٣٠م، وتتألف هذه الكتلة من وحدتين متلاصقتين شمالية وجنوبية، يصل بينهما درج يأخذ حيزاً مربع، ويربطهما شاقولياً مع الطابق العلوي، وتختلف الوحدتان فيما بينهما من حيث توزع الفراغات الداخلية واتساعها وارتباطها، فكانت الوحدة الشمالية أكثر وضوحاً وانتظاماً من الوحدة الجنوبية، كذلك كانت سماكة الجدران في الوحدة الشمالية أكثر من سماكة الجدران في الوحدة الجنوبية، أما الفراغات في القسم الشمالي فقد شكلت مداخل أكبر اتساعاً من مداخل الوحدة الجنوبية، ويعود هذا الفرق لاختلاف وظيفة كل قسم، فالوحدة الشمالية شغلت ساحة رئيسة مع قاعة العرش وملحقاتها، أما الوحدة الجنوبية فضمت القسم الإداري وغرف

التخزين، حيث يتوزعان حول فناء مركزي للوحدة. وقد بلغ الارتفاع الحقيقي لجدران القصر بحدود ٣،٥٠م، أما مادة البناء في القصر فكانت حجارة ذات قطع كبير مربع إضافة إلى استخدام الخشب والآجر المشوي. أما بالنسبة لقصر السوية الرابعة، فقد قدم لنا الكثير من المعلومات من خلال المحفوظات المكتشفة فيه، التي تعود لفترة الملك نيقميبا وابنه ايليم ايليما، وللقصر مسقط متكامل يمتد على مساحة ٥٥ X ٣٥م، وفراغاته لها شكل منتظم مربع أو مستطيل. ويتشابه مسقط هذا القصر مع مسقط قصر السوية السابعة من حيث احتوائه على قسمين، ففي قصر السوية الرابعة نجدهما باتجاه الشرق والغرب والاتصال بينهما واضح، ويتشابه القسمان المذكوران بشكل الفراغات ولكنهما أكبر في القسم الغربي، كما نلاحظ أن المدخل في الكتلة الشرقية أكبر حجماً، على حين يتوسط الكتلة الغربية فناء مستطيل الشكل وهو كبير نسبياً، وتحيط به عدة غرف يتم الانتقال إليها عن طريق الفناء، أما الكتلة الشرقية فيتم الانتقال غالباً عبر ممرات صغيرة، ويرتبط الجزء الشرقي والغربي مع الطابق الثاني بواسطة درج.

أما بالنسبة للمعابد، فلم يتمكن وولي من الوصول إلى نتائج واضحة بسبب وجود الماء الذي أدى إلى انهدام بعض الأجزاء منها. إن كل ما تم الكشف عنه في معبد السوية السادسة عشر هو عبارة عن أساسات وساحة رئيسية تبلغ أبعادها ٦ X ١٨م كانت أرضها مرصوفة بمربعات من الفخار، بالإضافة لبعض الجدران المبنية من الأجر المطلي التي كانت تحيط بالساحة، وقد بني هذا المعبد فوق مصطبة، ويبدو أنه دمر بسبب حريق، ويمكننا أن نحدد هذه الفترة في أواخر القرن التاسع عشر ق. م. أما معبد السوية الخامسة عشر فقد أنشأ فوق معبد السوية السادسة عشر، وكشف عن ساحته الرئيسية فقط نتيجة ضيق المساحة المنقبة، واستمر استخدام المصطبة في الجهة الشمالية الغربية منه ولكن مع بعض الترميمات. وفيما يخص معبد السوية الرابعة عشر، فقد عثر على المعبد الذي كان قد أعيد بناؤه مرة أخرى، حيث بدا أنه يتألف من غرفتين وفناء، ولكن جدرانه لم تكن واضحة، أما باحته الأمامية فكان يحيط بها سور مزين بأفاريز. أما معبد السوية الثالثة عشر فقد كان يتألف من غرفتين ومحراب، وكان الدخول إليه يتم باستخدام درجات قريبة من الناحية الجنوبية من المعبد، ويتابع مسيره في ممر طويل عبر غرفة صغيرة فيها موقد نار لحرق القرابين، وهناك بابان يقع الأول في اليمين ويؤدي إلى غرفة أخرى صغيرة، أما الباب الثاني فهو باب مدخل الممر الذي انتصب فيه سلم خشبي ذو درجات يقود إلى قلب المعبد. كما كان معبد السوية الثانية عشر يتألف من غرفتين مستطيلتين، ويتم الوصول من الغرفة الأولى إلى الثانية بواسطة درج، وكان المحراب وغرفة قدس الأقداس مسبوقين بالغرفة الأولى. أما بالنسبة لمعبد السوية السابعة، فقد كان مربع الشكل، وتبلغ أبعاده ٢٠ X ٢٠ م، والجدار الشرقي الخارجي لغرفة المعبد كان مشتركاً لفناء المعبد، ويلتقي في الجهة الغربية مع جدار القصر من السوية السابعة، وقد تم تشييد هذا المعبد من قبل ياريم ليم في الفترة الواقعة بين عامي ١٧٦٥ و ١٧٨٥ ق. م، واستخدم في بنائه كتل إسمنتية كأساسات، وكان له واجهة أمامية جنوبية شرقية، يتوسطها مدخل رئيس يؤدي إلى الرواق [القاعة الأمامية] وهي مستطيلة الشكل، ومن ثم كان يليها المصلى وهو مستطيل الشكل، ووجد على أطراف غرفته مصاطب مرتفعة ومذبحاً متدرجاً مبنياً من الحجارة البازلتية أمام المصطبة. كما عثر في فناء المعبد على رقيمات طينية وبعض القطع من العاج وتماثيل محطمة. وبالنسبة لمعابد السويتين السادسة والخامسة فهي غير واضحة، ولم يتمكن وولي من وضع مخطط لها. أما معبد السوية الرابعة

الذي يؤرخ على القرن الرابع عشر ق. م، فهو مربع الشكل تقريباً، ومؤلف من غرفتين وساحة، ووجدت قاعة أخرى أمامية يرجح وولي أنها لم تكن مسقوفة، ويوجد درج متموضع ضمن الجدار الشمالي الشرقي، وللمعبد باب خارجي عريض يقع في وسط مقدمته.
كما صمم معبد السوية الثالثة ليكون في نفس مكان المعبد السابق، ولكن مع بعض التعديلات الداخلية، حيث قسم من الداخل إلى قسمين بواسطة جدار معترض، فبدا المعبد وكأنه معبد مزدوج، وقد احتوى على بناءان باتجاهين متعاكسين، وكان كل من البنائين المذكورين ذي شكل مربع، ويوجد لهما درج جانبي، وفي الزاوية الشمالية الغربية قامت غرفة واسعة أمامها ممر ضيق، وقد قام أمام الجدار الشرقي رواق ومدخل متوسط قسمته دعامتان وثلاث فتحات، وفي مقابل الفتحة الوسطى قام مذبح من الآجر، وارتفع على ساحة فرشت بالجص الأبيض.
أما بالنسبة لمعبدي السويتين الثانية والأولى، فقد كان مخطط معبد السوية الثانية قريب من مخطط معبدي السويتين الرابعة والسابعة، أما مخطط معبد السوية الأولى فقد كان مربع الشكل، ووجد على محور الدخول النصب المقدس، وكان المدخل في منتصف الواجهة، ووجد على جانبيه غرفتان مربعتا الشكل، ووجد مقابل المدخل محراب، وقد امتدت أمام المعبد ساحة بلغت أبعادها ١٢،٦٠ X ١٣،٥٠م.

٤-إيمار

إيمار (Emar)، مسكنة الحالية، وهي مملكة قديمة في شمال سورية تم اكتشافها في عام ١٩٧٢م من قبل بعثة المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، وذلك في إطار الحملة الدولية لإنقاذ آثار حوض الفرات من جراء ارتفاع منسوب مياه بحيرة الأسد التي تكونت خلف سد الثورة، قامت هذه المملكة على ضفة الفرات اليمنى عند منعطفه الكبير نحو الشرق، وهي تعود بتاريخها للألف الثالث ق.م واستمرت حتى نهاية عصر البرونز الحديث الذي بلغت فيه إيمار ذروة ازدهارها، وقد ورد ذكر إيمار في النصوص القديمة التي تعود إلى الألفين الثالث والثاني ق.م، وبخاصة في نصوص إبلا وماري وألالاخ وأوجاريت، كما حملت في العصر البيزنطي اسم باربالیسوس (Barbalissos)، ثم اختُصر الاسم في العصور الإسلامية ليصبح بالس.
الاكتشاف: بدأت أعمال البحث والتنقيب في موقع مسكنة [إيمار] من خلال سبر تم القيام به في مطلع العشرينيات من القرن الماضي من قبل كل من أرنست هرتزفيلد (Ernst Herzfeld) وفريدريك سار(Fredrick Sarre) . وفي عام ١٩٢٩ قام كل من جورج سال (George Salle) وأوستاش دو لوري (Eustache de Lorey) بالتنقيب في المنطقة الإسلامية من الموقع، وتوصل جورج سال في عام ١٩٣٨م إلى نتيجة مفادها أن موقع مسكنة الحالي هو نفسه مكان مدينة إيمار القديمة، وفيما بعد استؤنفت التنقيبات في الموقع ضمن إطار الحملة الدولية لإنقاذ آثار حوض الفرات، حيث قامت بعثة أثرية فرنسية بالتنقيب في المنطقة الإسلامية من الموقع بين العامين ١٩٧٢ و ١٩٧٦م، وعثرت مصادفة على رقيم مسماري في الجهة الغربية منها، وأدى ذلك الاكتشاف إلى مجيء بعثة أثرية فرنسية متخصصة بالعصور الشرقية القديمة بإدارة جان كلود مارغرون (J.C.Marguron) الذي قام بعدة أسبار تمكن من خلالها من الكشف عن كثير من المعالم المعمارية واللقى الأثرية العائدة للقرنين الرابع عشر والثالث عشر ق. م، وفي عام ١٩٩١م استؤنفت التنقيبات في الموقع من قبل المديرية العامة للآثار والمتاحف في سورية، وبعد أربعة أعوام تقريباً عثرت

البعثة السورية على كسر من فخار العصور البرونزية القديمة، الدور الرابع، وفي ١٩٩٦م أصبحت البعثة السورية بعثة مشتركة مع جامعة توبنغن الألمانية[٣].
العمارة: تشير محفوظات إيبلا العائدة لمنتصف الألف الثالث ق.م، ونصوص ماري العائدة للقرن السابع عشر ق. م إلى أن مدينة إيمار في هاتين الفترتين كانت ذات شأن كبير، ولكن لم يتم الكشف عن سويات حضارية عائدة لهاتين الفترتين، أما بالنسبة لمدينة إيمار خلال عصر البرونز الحديث فقد شيدت على هضبة عند حافة نهر الفرات، وذلك في القرن الرابع عشر ق.م، ولكننا لا نملك تصور كامل عن تلك المدينة نتيجة لعدم اكتمال عمليات التنقيب في الموقع، ولكن يمكننا القول من خلال الجزء الذي تم تنقيبه من المدينة أنها تمتد على شكل جسم مستطيل الأبعاد، وأحتل القصر الملكي مكانة بارزة في الزاوية الشمالية الغربية من الموقع كبرج مراقبة مشرف على المدينة، كما احتوت المدينة على تجمعات سكنية منظمة مع المصاطب، وتميزت مخططاتها بأنها ذات أصل واحد، وهي مؤلفة في طابقها الأرضي من غرفة مستطيلة تصل إلى الشارع مباشرة، ومن غرفتين صغيرتين مستقلتين تتواجدان مقابل المدخل، وقد احتوت الغرفة الكبيرة على فرن، كما عثر على مباني مرفقة استخدمت كمستودعات للمؤن العائلية أو المواد التجارية.
أما بالنسبة للأماكن المقدسة في المدينة، فقد كانت مكرسة لعبادة بعل وعشتار، حيث تم الكشف عن ثلاثة معابد يعود تاريخ بنائها إلى نهاية القرن الرابع عشر ق.م، وتم استخدمها في القرن الثالث عشر ق.م، وقد عثر على اثنين منها في القطاع E وهما معبد بعل ومعبد عشتار المرتبطان بفناء يشكل مجموعة من الأبنية الدينية الهامة التي بنيت في أعلى نقطة من التل، أما المعبد الثالث فقد عثر عليه في بداية التلة الجنوبية المستطيلة الشكل. بالنسبة لمعبد عشتار [المعبد الشمالي] فهو معبد مستطيل الشكل يتم الدخول إليه من الجهة الشرقية بواسطة مدخل يقود إلى قاعة مستطيلة الشكل كانت تتم فيها العبادة، وبالنسبة لمعبد بعل [المعبد الجنوبي] فقد تهدم بكامله ولم يبقى منه سوى بعض عناصره الأساسية، ولكن قياسات القاعة الكبرى ومخططها لا يختلف عن المعبد الشمالي، أما بالنسبة للمعبد الثالث فلا يختلف في خصائصه عن المعبدين السابقين، ولكنه يتميز بوجود ثلاثة غرف ملتصقة بالمعبد، تشكل ملحقات هامة.

٥ـ أفامية

أفامية Apamea مدينة أثرية في سورية تقع في حوض نهر العاصي الأوسط على مسافة ٥٥كم شمال غربي حماه، وإلى جوارها حصن قديم حمل اسمها ويعرف اليوم باسم قلعة المضيق.
كانت أفامية المدينة الثانية في سورية بعد أنطاكية طيلة العصرين الهلنستي والروماني. أسسها الملك سلوقس الأول نيكاتور Seleukos Nikator في عام ٣٠٠ق.م وسماها باسم زوجته أبامه Apame وجعل منها العاصمة الحربية للامبراطورية السلوقية التي امتدت من الهند شرقاً حتى البحر المتوسط غرباً، حيث كان يعسكر فيها القسم الأكبر من الجيش السلوقي وفيلته الحربية المشهورة التي وصل عددها إلى ٥٠٠فيل هندي، كما كان يرتع في سهولها ٣٠ألف فرس و٣٠٠حصان حربي. وقد حافظت المدينة وقلعتها الحصينة على هذه المكانة العسكرية المتميزة عبر تاريخها الطويل وكانت قاعدة انطلاق الجيوش السلوقية في حروبها ضد البطالمة، كما جرى فيها العديد من وقائع الحروب الأهلية الرومانية في القرن الأول ق.م وكان لها دور مهم في الحروب الرومانية الفارسية.

كانت أفامية تشكل مع أنطاكية وسلوقية (السويدية اليوم) واللاذقية المدن الرئيسة الأربع في سورية السلوقية Tetrapolis التي عرفت بالمدن الشقيقة كما يظهر على النقود التي سكتها في منتصف القرن الثاني ق.م.
نالت في عهد أنطيوخوس الرابع (١٧٥-١٦٤ق.م) عدة امتيازات ومنها حق سك نقود باسمها. وهكذا بدأت أفامية في إصدار نقودها الخاصة بها ما يزيد على قرنين من الزمن حتى عهد الامبراطور الروماني كلاوديوس (٤١-٥٤م)، والتي تعكس أوضاعها الإدارية وألقابها والامتيازات التي حصلت عليها في العهود المختلفة وتعد مع النقوش الاغريقية واللاتينية من أهم مصادر المعرفة التاريخية عنها. كانت تتمتع بالحكم الذاتي في العهدين السلوقي والروماني وكان لها مجلسها البلدي وحكامها المحليون وجمعياتها الشعبية وكانت تستعمل التقويم السلوقي في تواريخها الرسمية والبلدية كما عرفت تقاويم أخرى تعبر عن أحداث مهمة في تاريخها.
كانت أفامية في العهد السلوقي عاصمة ولاية سورية الثانية. زارها عدد كبير من الأباطرة وأغدقوا عليها الكثير من الهبات، كما نالت عناية خاصة من قبل الأباطرة السوريين الذين حكموا روما منذ عهد سبتيميوس سفيروس.
كما كان لأفامية مكانة دينية مرموقة تمثلت في معبد وحي الإله بعل - زيوس Zeus Belos الذي وصلت عبادته مع مواطني افامية المغتربين إلى أقاصي الامبراطورية الرومانية.
وبعد انتشار الديانة المسيحية يظهر اسم أفامية في قوائم المجامع الكنسية منذ بداية القرن الرابع ثم أصبحت مقراً لأسقفية كبيرة ترعى كثيراً من الكنائس والأديرة.
كما كانت أفامية مركزاً فكرياً وفلسفياً مشهوراً أنجبت العلامة الكبير بوسيدونيوس الأفامي من زعماء الفلسفة الرواقية واشتهرت كذلك بمدرستها الأفلاطونية الجديدة التي برز فيها عدد من كبار فلاسفتها.
كما كان لأفامية أهمية تجارية كبيرة جاءت من غناها بالموارد الطبيعية واتساع اقليمها ووقوعها على تقاطع طرق مواصلات مهمة.
وقد انتشر تجارها في كافة أرجاء العالم الهلنستي والروماني وتركوا آثارهم وجودهم ونشاطهم في إيطالية وإسبانية وبلاد الغال وسواها.
كانت أفامية مدينة مزدهرة تعج بالسكان في العصر الروماني وطبقاً لإحصاء أجراه والي سورية سنة ٦-٧ ميلادية وصل عدد سكان أفامية الأحرار إلى ١١٧ ألف رجل، أي أنه كان يسكن المدينة وضواحيها آنذاك ما يقرب من نصف مليون نسمة.
وقد استمر ازدهارها حتى القرن السادس عندما اقتاد قائد كسرى (٢٩٢) ألف أسير من سكانها خلال غزو الفرس لها في عام ٥٧٣م.
ثم وقعت المدينة في أيدي الساسانيين عندما احتلوا سورية (٦١٣-٦٢٨م) حتى استعادها هرقل وبقيت تحت حكم الروم إلى أن فتحها العرب المسلمون صلحاً في عام ٦٤٠م على يد أبي عبيدة بن الجراح. وفي سنة ١١٠٦م سقطت أفامية بيد الفرنجة الصليبيين بقيادة تنكريد وظلت في حوزتهم إلى أن حررها نور الدين زنكي عام ١١٤٩م.
حملت المدينة خلال تاريخها الطويل أسماء مختلفة مقدونية وفارسية ورومانية. فقد أطلق المقدونيون الأوائل على هذا الموقع اسم بلا Pella وهو اسم عاصمة مقدونية. وعندما حولها

سلوقس إلى مدينة دعاها باسم زوجته الفارسية كما أنها حملت اسم كلاودية أفامية تعظيماً للامبراطور كلاوديوس.
ويذكر المؤرخ الأنطاكي يوحنا ملالاس أنه كان يقوم على أرض أفامية قبل تأسيسها قرية تدعى فرناكة Pharnake. وقد عثر على نقش هيروغليفي ـ حثي من القرن التاسع ق.م يتحدث فيه ملك حماه عن إقامته نصباً للإله بعلات في هذا الموقع ولكنه لا يذكر اسمه. كما أن وثائق أوغاريت وألالاخ ورسائل تل العمارنة تتحدث عن مملكة كنعانية قامت هنا في أواسط الألف الثاني ق.م وعرفت باسم نيا (نعيا Naya) وكل ذلك يدل على أهمية موقع أفامية وقدم استيطانها. لقد ورد ذكر أفامية في مؤلفات كثير من المؤرخين والجغرافيين والرحالة الإغرريق والرومان والعرب. وهي تعرف باسم «أفامية العاصي» تفريقاً لها عن عدة مدن حملت الاسم ذاته.
كما ترد في المصادر العربية أيضاً بصيغة «فامية»، من دون همزة. وقد وصفها المؤرخ أبو الفداء في«تقويم البلدان» أنها:
كانت مدينة عظيمة قديمة على نشز من الأرض، ولها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب (العاصي). وقال عنها ياقوت الحموي في «معجم البلدان» إنها مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص.
تعرضت أفامية في تاريخها الطويل لعدد كبير من الهزات الأرضية المتتالية وخاصة في القرن السادس (٥٢٦ و٥٢٨ و٥٧٧ و٥٨٨ و٥٩٩م) ومع ذلك فقد كانت تنهض من جديد. ويعتقد الباحثون أن المدينة قد هجرت أثر الزلزال العنيف الذي ضربها سنة ٥٢٢هـ/١١٥٧م ولم يبق منها إلا على قلعتها التي عاد إليها السكان بعد ترميمها من قبل نور الدين زنكي. وظل حجم المدينة يتقلص تريجياً في العصور التالية إلى أن اندثرت معالمها وانطفأ ذكرها في العهد العثماني ولم يبق سوى أطلالها، أما القرية الحالية فتعرف باسم قلعة المضيق منذ القرن السادس عشر في أحسن تقدير.
أهم المعالم الأثرية
يحتوي موقع أفامية على سويات ترقى إلى العصور الهلنستية والرومانية، والبيزنطية والإسلامية.
إن من أهم معالم أفامية الأثرية سورها الذي يرقى إلى العصر الهلنستي، واستخدام أساسات للأسوار الرومانية والبيزنطية اللاحقة. وتقوم مديرية الآثار والمتاحف السورية بترميمها من جديد.
ومن معالم أفامية المهمة الأخرى الشارع الرئيسي Cardo الذي يخترق المدينة من الشمال إلى الجنوب وطوله ١٨٥٠متراً وعرضه ٣٧.٥م، وتقع قرب البوابة الشمالية أقدم أجزاء هذا الشارع، ويرجع تاريخه إلى سنة ١١٦ أو ١١٧م في حين يوجد في وسطه قسم آخر ذو أعمدة حلزونية يرجع تاريخه إلى نحو ١٦٦م.
وإلى الشرق من القسم الشمالي من الشارع حمام متسع بأقسامه الباردة والساخنة بني في عام ١١٦ أو ١١٧م.
أما السوق المركزية Forum التي تتوسط المدينة وتقع غرب الجزء الأوسط من الشارع فيمكن إرجاعها إلى زمن حكم الامبراطور هادريان (١١٧-١٣٨م).
وعلى جانبي الشارع العرضي الذي يقطع المدينة من الشرق إلى الغرب (دوكومانوس)، تقع منطقة حفريات واسعة تضم أجزاء رئيسة من المدينة هي:

التريكلينوس: وهو قصر الحاكم، ويضم عدداً وافراً من الغرف والقاعات، بعضها مرصوف بالفسيفساء، ومن أهمها فسيفساء الأمازونات المعروضة في متحف أفامية.
الكاتدرائية: وتقع إلى الشرق من قصر الحاكم، وتضم الكنيسة الرئيسة وقصر الأسقف، وحمامات ومكاتب وكنائس صغيرة، ولقد كان مخطط الكنيسة الرئيسة ذو الحنيات الأربع مصمماً طبقاً لأهميتها السابقة، فقد كانت المكان المقدس لحفظ الصليب الحقيقي الذي صلب عليه المسيح ومنح أفامية شهرتها. وكانت زخارف الكاتدرائية رائعة، وعثر فيها على فسيفساء مهمة ترمز على الأرحج إلى الجدل اللاهوتي الذي عم القرن السادس الميلادي، وتذكر اسم الأسقف بول رئيس أساقفة أفامية.
مجموعة بيوت واسعة ترقى إلى العصر البيزنطي، وأكثرها شهرة «البيت ذو القناصل» أي حاملات التماثيل، ويمكن إرجاع هذا المبنى إلى السنوات الأخيرة من الحكم البيزنطي أي قبيل خضوع أفامية للعرب عام ٦٣٨م.
كنيسة مستديرة الشكل Rutonda وهي إحدى كنائس القرن السادس الميلادي، لكن مخططها غير مشابه للعمارة المسيحية المبكرة في بلاد الشرق.
المسرح: ويقع في القسم الغربي من المدينة ويرقى إلى أواخر القرن الثاني الميلادي، وقد بني على حافة مرتفع صخري مواجه للأكرويول أي قلعة المضيق الحالية.
إن القرية الحالية تشغل القلعة، وما تزال أجزاء كثيرة من أسوارها التي ترقى إلى العصور الوسطى قائمة إلى اليوم، وفي منتصف المنحدر الهابط منها اتجاه الوادي جامع عثماني صغير، ولهذا الجامع علاقة بخان الحجيج الذي يقع في أسفل المنحدر على الطريق الآخذة إلى جسر الشغور، وكلاهما (المسجد والخان) يرقيان إلى بداية القرن السادس عشر الميلادي. وقد قامت مديرية الآثار بترميمهما وإعادتهما إلى ما كانا عليه سابقاً، واستخدم الخان متحفاً لموقع أفامية الأثري يضم في ثناياه أهم الكشوفات الأثرية في أفامية ولاسيما الألواح الفسيفسائية، وقد تم افتتاحه في تشرين الثاني من عام ١٩٨٢م، كما تم ترميم الطاحونة العثمانية على الضفة الغربية لبحيرة أفامية.

٦-الرصافة

هي سيرجيوبوليس Serigiopolis أي مدينة القديس سركيس، تقع شمالي سورية إلى الجنوب الغربي من الرقة، وتبعد عنها نحو خمسين كيلومتراً.
يعود اكتشاف هذه المدينة إلى أواخر القرن السابع عشر الميلادي، فقد عثرت جماعة من التجار البريطانيين في أثناء سفرهم من حلب إلى تدمر في عام ١٦٩١م على أطلال واسعة بين الفرات وتدمر، ثم كتب أحد أفراد هذه الجماعة مقالاً عن هذه الأطلال إلى إحدى المجلات الإنكليزية، ذكر فيه اسم الرصافة Rusafa، ومضى وقت طويل قبل أن يثار موضوع الرصافة مرة أخرى في عام ١٩٠٣م، ثم زارها في عام ١٩٠٧م المؤرخان سارِّه F.Sarre وهرتزفيلد E.Herzfeld وكتبا عنها، يضاف إلى هذا ما كتبه عنها الرحالة موزيل A.Musil.
لهذه المدينة تاريخ موغل في القدم، إذ من المحتمل أن يعود تأسيس الرصافة إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وهي نفسها (ر ص ف)، كما ورد اسمها في النصوص القديمة، إلا أنه لا يوجد اليوم دلائل أثرية عن هذا الموقع في تلك الحقبة المبكرة، ولم توفر الحفريات بعد بشيء من هذا.

لقد نالت الرصافة أهمية استراتيجية في العصر الروماني، لكونها حصناً على حدود الإمبراطورية الرومانية لصد هجمات الفرس والبارثيين، وقد أقام الرومان هناك وحدة من الفرسان المحليين في داخل القلعة التي كانت لا تزال بسيطة في ذلك الحين.
وأصبحت الرصافة معروفة أكثر من ذي قبل منذ مطلع القرن الرابع الميلادي، بعد أن استشهد فيها سركيس (سيرجيوس) الضابط العربي في الجيش الروماني، وأحد ضحايا الاضطهاد الذي تعرضت لها المسيحية في عهد الرومان. وعُدّ سيرجيوس من القديسين الذين يُمَجّدون في البادية والمقاطعات الأخرى في سورية وبلاد ما بين النهرين، وتحول قبره الذي دفن فيه خارج أسوار الرصافة إلى مزار يؤمه الزوار من كل منطقة البحر المتوسط، ولعل زيارته دخلت في برنامج رحلات الحج إلى بلاد الشام، وأدى هذا إلى أن زاد غنى هذه المدينة التي أصبحت، وقد صار اسمها سيرجيوبوليس، مركز أسقفية (متروبوليتية).
وبلغت مدينة الرصافة في أواخر القرن الخامس وخلال القرن السادس الميلاديين قمة الازدهار، وقد أدى غناها إلى طمع الفرس بغزوها، مما دعا القيصر البيزنطي جوستنيان لاتخاذ التدابير اللازمة لحمايتها، فبنى في عام ٥٤٢م أسوارها الضخمة لحمايتها، بعد أن كانت محاطة بسور من الطين.
ومع الفتح العربي الإسلامي في القرن السابع الميلادي شهدت الرصافة مرحلة ازدهار ثانية، ويذكر لنا البلاذري (ت٢٧٩هـ) والطبري (ت٣١٠هـ) وأبو الفداء (ت٨٥٢هـ) أن الخليفة هشام بن عبد الملك قد اختار الرصافة وبناها وإليه تنسب، فيقال رصافة هشام، ومنها خرج عندما تولّى الخلافة، وكانت وفاته بالرصافة وفيها قبره. وقد عاشت الرصافة في عهد الخليفة هشام (١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٤-٧٤٣م)، آخر فترة ازدهار لها، ويحتمل أن تكون الحياة قد انطفأت في الرصافة بعد غزو المغول وهجماتهم على سورية في القرن الثالث عشر الميلادي.
أهم المعالم الأثرية في مدينة الرصافة: ترتفع على أرض هذه المدينة، داخل سورها، أطلال عديدة من العصرين البيزنطي والإسلامي، فقد وصل منها ما هو مهم ورائع مما بناه جوستنيان، كخزانات الماء الواسعة المبنية بالآجر، وأسوارها الضخمة التي ذكرها بروكوبيوس والتي لازالت في وضع سليم، وتعد واحدة من أجمل وأهم العناصر المعمارية في هذه المدينة.
تحيط الأسوار بالمدينة بشكل مستطيل تقريباً، وتحصر بينها مساحة إحدى وعشرين هكتاراً، ويبلغ عرض هذه الأسوار ثلاثة أمتار، وطول الجدار الشمالي ٥٣٦.٥ متراً والجدار الشرقي ٣٥٠.٣٥ متراً، والجدار الجنوبي ٥٤٩.٤٠ متراً والجدار الغربي ٤١١.٢٠ متراً، ولهذه الأسوار أربع بوابات رئيسة، ويوجد فيها واحد وخمسون برجاً، لها أشكال مستطيلة أو مستديرة أو خماسية الأضلاع، وتحتل الزوايا الأربع أبراج مستديرة.
تم اكتشاف جزء من الشارع الذي يتصل بالبوابة الشمالية بطول ١٣٥ متراً يراوح عرضه بين ٢.١٠م و٢.٨٠م، يقع على جانبيه رصيفان يراوح عرض كل منهما بين ٠.٨٠م و١.١٠م. وتقع على جانبي هذا الشارع الحوانيت التي لا زالت بقاياها قائمة على ارتفاع متر واحد.
ولعل كثرة الدخل الذي كانت تجنيه المدينة عن طريق الحج، جعلت كنيسة المدينة الصغيرة قادرة على بناء الكنائس الكبيرة، فقد بني في أواخر القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلاديين ثلاث كنائس ضخمة هي:

الكنيسة التي بنيت في أواخر القرن الخامس الميلادي، ولا تزال معظم جدرانها قائمة حتى اليوم.
الكنيسة التي بنيت في السنوات الأولى من القرن السادس الميلادي، وهذه الكنيسة خربت بفعل الزلازل قبيل القرن التاسع الميلادي.
المبنى المركزي، وهو مبنى لإحدى الكنائس الثلاث الكبيرة في الرصافة، بنيت هذه الكنيسة في العقود الأولى من القرن السادس الميلادي، أي زمن الإمبراطور جوستنيان، وخربت بالهزّة نفسها التي ضربت الكنيسة في القرن السادس الميلادي، لكن تخريبها لم يكن كلياً، فجدرانها الخارجية ما زالت قائمة، عدا الزاوية الجنوبية الغربية، ولهذه الكنيسة مخطط مختلف عن بقية الكنائس.
وهناك بناء من العصر الإسلامي ذو قباب ومسجد وحمام خاص وخان.

٧ـعين دارا

تل أثري يقع على الضفة الشرقية لنهر عفرين، على نحو ٧كم جنوبي مدينة عفرين، وينسب إلى نبع عين دارا الغزير، شرقي التل بنحو ٨٠٠م، يجاوره سهل خصيب يروى من النبع والنهر. يتألف الموقع من تلين متجاورين: الصغير الأعلى ويسمى المدينة الفوقانية، ويرتفع عن حوض عفرين نحو٣٠م، طوله ١٢٥م وعرضه٦٠م، والكبير المنخفض، أي المدينة التحتانية طوله ٢٧٠م وعرضه ١٧٠م.

يرجح أن المدينة التحتانية التي تطوق الفوقانية من الشمال والشرق، قد نشأت في العهد الآرامي (نحو ١٢٠٠ـ ٧٣٠ق.م)، بينما سُكنت الفوقانية عبر عصور عدة.

اهتمت المديرية العامة للآثار والمتاحف في سورية بالتل، حالما اكتشف راعٍ أسداً بازلتياً على سفحه الغربي عام ١٩٥٤، ولم ترسل بعثة تنقيب إلا في عام ١٩٥٦، وبعدها في عام ١٩٦٢. ثم توقف العمل حتى عام ١٩٧٦ فأجري الموسم الرابع ثم الخامس عام ١٩٧٨ والسادس عام ١٩٨٠، ودام العمل من دون انقطاع حتى توقف عام ١٩٩٢، ومايزال حتى اليوم.

أما طبقات التل المعروفة، والمكتشفة في المدينة الفوقانية فهي:

الطبقة الأولى: وهي الأعلى، وقد خُربت بفعل زراعة سطح التل، ونقل حجارة مبانيها إلى القرى المجاورة. فتعذر تعرفها مفصلةً، إنما اكتشفت بعض الأواني الفخارية التي ساعدت على تأريخ الطبقة بعد عام ١٠٧٢م، حين دمرت المدينة في أثناء الحروب السلجوقية ـ البيزنطية.

الطبقة الثانية: تلي الأولى مباشرةً، وقد دمر مبانيها حريق هائل وشامل. يحيط بالمدينة سور دفاعي حصين تزينه الأبراج، وقد أقيم على الجوانب الشمالية والشرقية والجنوبية، واستثني الجانب الغربي حيث كان النهر حاجزاً طبيعياً حصيناً.

تلتصق داخل السور البيوت والمنشآت العامة: كنيسة، مشغل حداد ونجارة وحياكة، تفصل بينها أزقة ضيقة، مدت تحتها أقنية الصرف الصحي. يراوح عدد غرف البيوت من ١ـ ٣ على صف واحد، وتتألف من غرفة كبيرة في الوسط، وعلى جانبيها غرفتان صغيرتان، بحسب الأنموذج البيزنطي.

عثر على نقود ذهبية لقياصرة بيزنطة، ساعدت هي واللُّقى الأخرى في تأريخ هذه الطبقة من ٩٦٩ـ ١٠٧٢م، إبان حكم الأسرة المكدونية التي احتلت سورية الشمالية عام ٩٦٩، وطردت عام ١٠٧٢م.

الطبقة الثالثة: وكانت مبانيها متهدمة، بنيت فوقها مباني المدينة البيزنطية مع تعديلات طفيفة عليها.

تتشابه اللقى الأثرية الفخارية والمعدنية مع أقرانها في أنطاكية والرقة وحماة، وتؤرخ في الحقبة من٦٤٠ ـ ٩٦٩م، في الدورين الأموي والعباسي.

الطبقة الرابعة: ٣٣٠ـ ٦٤ق.م، لم يكشف فيها إلا على بقايا معمارية غير متجانسة ومبعثرة، ويختلف أسلوب البناء عن أسلوب بناء الطبقات الأحدث والأعلى، تفصل طبقة ردمية، تكونت من تهدم مساكن، هذه الطبقة بسماكة متر واحد بينها وبين الطبقة الثالثة. مما يدل على هجر الموقع طيلة العصر الروماني.

الطبقة الخامسة: ٥٣٠ ـ٣٣٠ق.م، عثر على بقاياها، من جدران وأرضيات طينية وأعمدة خشبية، فوق أطلال المعبد، فخارها مستورد من اليونان أو محلي، وتمثل اللُّقى دمى الخيالة ولوحات المرأة العارية

الطبقة السادسة: وقد عثر على بقاياها حول المعبد وهي بقايا معمارية هزيلة تعرضت للدمار. وأهم ما فيها كسر فخارية ودمى طينية للمرأة العارية، وكسر فخارية يونانية ذات زخارف هندسية، وختم أسطواني من الطراز الآشوري. وكلها تساعد على تأريخ هذه الطبقة من ٧٤٠ ـ٥٣٠ق.م.

المعبد: وهو أهم أثر في التل، وأهم آبدة معمارية من عصرها، شيد فوق الطرف الشمالي الغربي للمدينة الفوقانية نحو عام ١٢٠٠ق.م، وجدد نحو عام ٩٥٠ق.م، ودمر عام ٧٤٠ق.م. يتألف مخططه من حفرة أساس، دكت وأقيمت فوقها مصطبة (٣٢×٣٨م) وهي أبعاد المعبد الذي يتجه نحو الجنوب الشرقي، تتقدمه باحة مبلطة بالحجارة الكلسية والبازلتية المنحوتة وفيها بئر مع حوض للوضوء. بين الباحة ومدخل المعبد درج عظيم ارتفاعه ٠.٧٠م زينت درجاته بالضفائر. المدخل عميق، وعلى جانبيه شرفتان، في وسطهما عمودان لحمل الساكف، وفيه عتبتان متتاليتان نقشت في الأولى صورة قدمين وفي الثانية صورة القدم اليسرى، أكبر من الحجم الطبيعي. بجانب العتبتين أسدان من الحجر البازلتي، يلي المدخل قاعة أمامية مستطيلة (١٥.٥٠×٦م) زينت جدرانها من الداخل بالمنحوتات المزينة بالضفائر وصور رب الجبل. وتنخفض أرضيتها المرصوفة عن أرضية الحرم التي ترتبط بها بوساطة درج زينت درجاته بأشكال الضفائر. تؤدي هذه القاعة إلى المصلى بوساطة مدخل عميق فيه عتبة، فيها صورة القدم اليمنى لإنسان ٠.٩٧×٠.٣٦م مساوية لأقدام العتبات الأخرى، وعلى جانبيها أسدان كبيران يزينان المدخل، بينما تزين أسود مقعية واجهة الحرم، وواجهة المعبد أيضاً.

أما الحرم أو المصلى فمربع الشكل تقريباً ١٦.٧٠×١٦.٨٠م، جعلت في صدره منصة مكسوة بأشكال مزدوجة لأسود وأبي الهول بارتفاع ٠.٥٠م، فوق أرضية المصلى المرصوفة، زينت واجهتها بأشكال رب الجبل، وقد انتصبت فوقها تماثيل الأرباب. المصلى مخرب، ويطوف العباد حوله وحول القاعة الأمامية عبر رواق تزينه أشكال حيوانية ونباتية وإنسانية، يمثل مرحلة التجديد ويوازي الأضلاع الشرقي والشمالي والغربي، ويرتفع فوق الأرضية المجاورة للمعبد.

يمثل معبد عين دارا، الذي ربما كرس لعبادة الربة عشتار ورب الجبل، الحلقة الأهم في سلسلة معابد بلاد الشام والجزيرة من الألف الثالثة ق.م حتى القرنين الأول والثاني الميلادي.

٨-الأَنْدَرين

أطلال مدينة في سورية تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة حماة على بعد نحو ٨٥ كيلو متراً، وإلى الشمال الشرقي من قصر ابن وردان على بعد ٢٥ كيلومتراً، وقد وصفها ياقوت الحموي بقوله: «الأندرين اسم قرية في جنوبي حلب بينهما مسيرة يوم للراكب في طرف البرية ليس بعدها عمارة وهي الآن خراب ليس بها إلا بقية الجدران»، وإياها عنى عمرو بن كلثوم بقوله:

ألا هبّي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

والحقيقة أن الأنْدرين كانت مدينة واسعة ترقى للعصر البيزنطي قد خربت واندثرت وتهدم بنيانها، ولم يبق منها سوى بعض معالمها العلوية. وقد بُنيت جميعها بالحجارة البازلتية إلى جانب الآجر. كان اسمها القديم أندرونا Androna، وكانت مدينة واسعة يحيط بها سور ضخم ويخترقها شارع رئيسي من الشمال إلى الجنوب يسمى الكاردو Cardo يقطعه شارع آخر من الشرق إلى الغرب يسمى الديكومانوس Decumanus.

ويلاحظ في جنوب مدينة الأندرين وخارج أسوارها خزان ماء واسع مربع الشكل يتجاوز طوله الستين متراً، مبني بحجارة كلسية، وكانت تغذيه قناة تأتي من الجهة الجنوبية الشرقية من أراضي رسم أم الأميال (أم الميال) كما يذكر وصفي زكريا الذي زار الموقع في عام ١٩٢٦م. وهناك خزان آخر يقع شمال الأندرين، تصل إليه المياه بوساطة أقنية تقع في جهة الغرب والجنوب الغربي من المدينة.

ولأن الكنائس في الأندرين من العناصر المعمارية التي تميز هذه المدينة والتي يبلغ عددها نحو عشر كنائس، فلابد من إعطاء وصف موجز لأهمها، وهذه الكنائس ترقى للقرنين الخامس والسادس الميلاديين.

الكنيسة الجنوبية: تمثل الكنيسة الجنوبية في الأندرين أكثر النماذج شيوعاً في القرن الخامس الميلادي في المنطقتين الشمالية، والشمالية الشرقية من سورية. وتمتاز هذه الكنيسة بوجود سور مستطيل يحيط بها، ويتكون مسقطها من مجاز nave يكتنفه جناحان aisles، وينفصل المجاز عن كل من الجناحين بثلاث دعامات، تحمل ثلاث أقواس ضخمة، يضاف إلى ذلك قوس صغيرة منخفضة في النهاية الغربية للكنيسة.

كانت هذه الكنيسة من أكثر مباني الأندرين سلامة حتى النصف الأول من القرن العشرين، لكنها تعرضت للتخريب فيما بعد، ولم يبق منها سوى أقسامها السفلية مطمورة تحت الأنقاض.

ويبدو من مخطط الكنيسة أن مسقط الدعامات الغربية بشكل حرف T اللاتينية، ويلاحظ وجود غرفتين على جانبي الحنية The apse. وإلى شمال النهاية الشرقية بناء مستطيل الشكل ذو ثلاثة إيوانات وفرجة صغيرة في مدخله

كنيسة الثالوث الأقدس: هذه الكنيسة ذات فناء مربع يتكون من مجاز وجناحين، وينفصل المجاز عن كل من الجناحين بدعامتين وثلاث أقواس كبيرة، وينتهي المجاز من الشرق بحنية عميقة تكتنفها غرفتان تتصلان بالحنية، النهاية الشرقية من الخارج مستقيمة ولا تظهر فيها استدارة الحنية. وقد بنيت أجزاء كثيرة من هذه الكنيسة باللبن، بينما بنيت

أقواسها ودعاماتها ومداخلها بالحجارة البازلتية المبعثرة في كل اتجاه، ويحمل أحد الأعتاب كتابة يونانية تشير إلى أن هذه الكنيسة قد أُهديت إلى الثالوث الأقدس.

الكنيسة المزدوجة

ـ كنيسة ميكائيل وجبرائيل Saint Michael + Saint Gaberial: يمكن عدُّ هاتين الكنيستين كنيسة واحدة مزدوجة لكونهما متجاورتين لا يفصل بينهما سوى ممر ضيق لا يزيد عرضه على ستة أمتار. وكلا الكنيستين تقدمة من مواطن يدعى دوميتيوس بن ماریاس Dometios Son of Mareas. تدعى الكنيسة الجنوبية كنيسة كرسي سيد الملائكة وتعني كنيسة ميكائيل وبالتالي فإن الكنيسة الشمالية هي كنيسة جبرائيل، وأُنشئت على الغالب بعد الكنيسة الأولى بقليل. الكنيسة الجنوبية أكثر إتقاناً وأوسع من الشمالية، في مجازها زوج من الدعامات في النهاية الغربية، ولهما مسقط صليبي الشكل وتحمل كل منهما قوساً صغيرة تمتد بينها وبين الجدار الغربي، وأقواساً عرضانية تمتد فوق وسط وجانبي المجاز مشكلة ما يشبه النارثكس Narthex ذا جزئين مربعي الشكل في طرفيه الجنوبي والشمالي، ويلاصق الجزء الشمالي غرفة مربعة يوجد فيها درج ذو بسطة دائرية الشكل تقريباً. أما الكنيسة الشمالية فهي ذات مجاز ينفصل عن كل من الجناحين بدعامتين، وثلاث أقواس، وينتهي في الشرق بحنية عميقة على جانبيها غرفتان تنفتحان على الحنية.

كنيسة القديس ثيودورس: فناء هذه الكنيسة مربع، يتصل المجاز مع كل من الجناحين بقوسين في كل جهة، وينتهي في الشرق بحنية تكتنفها غرفتان تتصلان بالحنية بمدخل في كل غرفة. كما تتصلان بالجناحين بمدخل في الجهة الغربية من كل غرفة.

كنيسة الثكنة

وهي الكنيسة الواقعة في وسط ميدان الثكنات الكبير مبنية كلها بالبازلت، ولها مجاز شبه مربع أبعاده ١٣.٧٠×١٤.٥٦م، الحنية واسعة وعميقة، تكتنفها غرفتان جانبيتان وعلى عتب المدخل الغربي وكذا عتب المدخل الجنوبي كتابات يونانية منقوشة بارزة. ومن المحتمل أن هذه الكنيسة أُنشئت في عام ٥٥٨م أي في الوقت نفسه الذي أُنشئت فيه الثكنات.

كاتدرائية الأندرين

هناك كنيسة أخرى واسعة وجميلة تدعى كاتدرائية الأندرين، تقع في الجهة الجنوبية الغربية من الثكنة طولها ٤٣ متراً، وعرضها ٢٥ متراً، وكانت بعض نهاياتها الشرقية والغربية قائمة حتى النصف الأول من القرن العشرين لكنها للأسف فُقدت اليوم ولم يبق لها أثر. لهذه الكنيسة مجاز وجناحان، ينتهي المجاز بحنية عميقة، تكتنفها غرفتان جانبيتان لكل منهما حنية باتجاه الشرق، وهذه الكنيسة مبنية بكاملها بالحجارة البازلتية أيضاً، ومن المرجح أنها ترقى لحقبة كنيسة الثكنة نفسها. وهنا لابد من الإشارة إلى استخدام ثلاث حنيات، واحدة كبرى في نهاية الحنية وحنيتين صغيرتين في نهاية الغرفتين الواقعتين على جانب الحنية، وهو أسلوب معماري موجود بقلة في كل أنحاء سورية. والأمثلة على هذا الطراز هي: البازيليكا المفقودة في السويداء الواقعة في جنوبي سورية والمذبح والبازيليكا B في الرصافة الواقعة شمال شرقي سورية، وكنيسة القديس سمعان الكبرى في قلعة سمعان في شمالي سورية، فضلاً عن الكنيسة المبنية في أطلال معبد بعلبك، ومن بين هذه الكنائس جميعها تعد كنيسة القديس سمعان، والكاتدرائية في الأندرين الكنيستين الوحيدتين اللتين يظهر فيهما استدارة الحنيات الثلاث من الخارج أي في ظاهر نهاية الكنيسة من الشرق. وهناك ابتكار جديد وجد في كنيسة رئيس الملائكة في الأندرين، فبدل الاستدارة الخارجية للحنية تميز ثلاثة

جدران تشكل ثلاثة أضلاع من شكل سداسي (أي نصف شكل سداسي)، ولابد من ذكر أن الغرفتين الجانبيتين على جانبي الحنية مربعتا الشكل تقريباً في المناطق الواقعة شمال وشمال شرقي سورية، كما هو في كنائس الأندرين. في حين يلاحظ في كنائس جنوبي سورية وجود دهليزين طويلين على جانبي الحنية بدلاً من الغرفتين الجانبيتين كما هو الحال في كنيسة أم الجمال.

٩ـتل آفس

يقع في منطقة سورية الشمالية الداخلية في محافظة إدلب، إلى الغرب من الطريق الرئيسي بين دمشق وحلب، ويبعد ٢٠كم عن مركز المحافظة. ويعدّ تل آفس الأكبر والأهم بين تلال سهل الجزر؛ إذ تبلغ أبعاده نحو ٥٠٠ ×٥٧٠م. وتأتي الأهمية التاريخية للموقع من كونه عند نقطة تقاطع الطرق التجارية أولاً؛ ولإنتاجه الوافر من الحبوب والزيتون ثانياً.

أدت زيارة القنصل الفرنسي في حلب لتل آفس عام ١٩٠٣م إلى الكشف عن النصب التذكاري الآرامي الذي يعود إلى ملك حماة زكّور Zakkur ولوعاش Lu'ash (حماة والغاب)، وهذا النصب محفوظ حالياً في متحف اللوفر في باريس، ويعود تاريخه إلى القرن الثامن قبل الميلاد. وقد استنتج بعض الباحثين - من العثور على هذا النصب ومن مضمون النص المنقوش عليه - أن تل آفس هو موقع مدينة حزريك الآرامية (ح ز ر ك). لكن لم يبرز حتى الآن دليل حاسم على صحة هذا الاستنتاج، وفي الوقت نفسه يميل باحثون آخرون إلى أن موقع هذه المدينة ينبغي أن يكون في سهل الغاب غربي محافظة حماة.

قامت بعثة آثارية إيطالية من جامعة بيزا الإيطالية بالتنقيب في تل آفس. وكانت هذه التنقيبات بإدارة باولو ماتييه Paolo Matthiae في الأعوام ١٩٧٠-١٩٧٢، و١٩٧٨. واستمر العمل في عام ١٩٨٦ تحت إشراف ستيفانيا ماتسوني Stefania Mazzoni من جامعة بيزا الإيطالية. وشملت التنقيبات مناطق التل المركزي (القطاع A)، والمدينة المنخفضة (القطاع E)، والتحصينات (القطاعين N,B). وقد دلت هذه التنقيبات على وجود طبقات أثرية تبدأ من العصر الحجري النحاسي حتى العهود الهلنستية. لقد كشفت التنقيبات عن عشر طبقات أثرية في تل آفس، وحدد المنقبون تاريخ هذه الطبقات ابتداً من العصر الحجري النحاسي (الطبقة الأولى) إلى العهد الفارسي الأخميني (الطبقة العاشرة)، وذلك على النحو الآتي:

- آفس I

العصر الحجري النحاسي القديم والوسيط، فترة حلف والعبيد (٥٥٠٠ - ٣٨٠٠ق.م).

- آفسII

العصر الحجري النحاسي الحديث (٣٨٠٠ - ٣١٠٠ق.م).

- آفس III

عصر البرونز القديم III-I و(٣١٠٠-٢٥٠٠ق.م).

- آفس IV

عصر البرونز القديم IV-A.B و(٢٥٠٠-٢٠٠٠ق.م).

- آفس V

عصر البرونز الوسيط الأول والثاني (٢٠٠٠ - ١٦٠٠ق.م).

- آفس VI

عصر البرونز الحديث الأول والثاني (١٦٠٠ – ١٢٠٠ق.م).

- آفس VII

عصر الحديد الأول (١٢٠٠ - ٩٥٠/٩٠٠ق.م).

- آفس VIII

عصر الحديد الثاني (٩٥٠/٩٠٠ - ٧٠٠ق.م).

- آفس IX

عصر الحديد الثالث (٧٠٠ - ٥٥٠ق.م).

تتمثل بقايا العصر الحجري النحاسي في تل آفس بالسور الدفاعي وبالفخار الرمادي المصقول. ومن العصر البرونزي القديم وجدت أرضيات سكنية وكسر فخارية. وكشفت التنقيبات في القطاع E عن وجود وحدات معمارية تعود إلى العصر البرونزي القديم الرابع وهذه الوحدات تضم مشاغل لتصنيع مادتي الفخار والصوان. وقد وجدت فيها دكاك ومواقد ومدقات من البازلت. في العصر البرونزي الوسيط ازدهرت المدينة لترتقي إلى مرتبة المدينة ذات السيادة. وفي هذا العصر أحيط المركز بجدار تحصيني فضلاً عن وجود سور دفاعي يحيط بالمدينة المنخفضة، وكانت تتبع للمدينة حينذاك عدة قرى وحقول زراعية محيطة بها. ومن أهم مكتشفات هذه الفترة منشآت معمارية سكنية (في القطاعين N,E) تحتوي على كسر فخارية متنوعة ودمى طينية، وكذلك منطقة جنائزية مؤلفة من عدة قبور في القطاع B تضم بعض اللقى الفخارية ودمى طينية.

مع بداية العصر البرونزي الحديث تراجعت أهمية المدينة، وتعرضت لانقطاع في الاستيطان لفترة وجيزة. وأحيطت المدينة فيما بعد بسور دفاعي تم الكشف عن بقاياه في القطاع .N وكشفت التنقيبات في القطاع E عن منطقة سكنية واسعة كشف فيها عن القصر القديم الذي يضم ملحقاً سكنياً مؤلفاً من ست غرف متعددة الوظائف وملحقاً إدارياً عثر فيه على تسعة رقيمات مسمارية وبعض اللقى البرونزية؛ وقصر آخر له مدخل بأعمدة حجرية، ويطل على طريق معبَّد بحصى مرصوفة يتجه من الشرق إلى الغرب.

في العصر الحديدي قامت المدينة بدور رئيسي في شمال غربيّ سورية بسبب موقعها المهم الذي يربط المنطقة الداخلية مع المنفذ البحري. خلال العصر الحديدي الأول شهدت المدينة تطورات اقتصادية واسعة ونزوحاً سكانياً كثيفاً من الريف إلى المدينة، وخططت المدينة بشوارع مستقيمة تشرف عليها البيوت السكنية التي اكتشفت في القطاعين N,E. وازدهرت في المدينة حينذاك الأعمال الحرفية المختلفة خصوصاً صناعة النسيج، وأنتج الفخار المحلي الملون إلى جانب الفخار القبرصي المستورد. من أهم البقايا المعمارية المكتشفة تلك التي تعود إلى المعبد الكبير في القطاع A. وهذا المعبد كان مخصصاً لعبادة إله العواصف على ما يرجح. ويضم المعبد مصلَّيَين صغيرين شُيّدا فوق بعضهما باللبن من دون أساسات حجرية. وكشفت التنقيبات عند المدخل الرئيسي عن كسر ومباخر فخارية خاصة بالطقوس الدينية والعديد من الزبادي والصحون.

ويمثل العصر الحديدي الثاني والثالث مرحلة ازدهار المدينة، وإليها تعود مدينة حزريك الآرامية وفي هذه المرحلة أعيد بنا المدينة، ووسعت المباني الدينية والمدنية. وأحيطت المدينة بسور خارجي، وبرزت بوصفها مركزاً آرامياً مهماً في سورية الشمالية. وقد أسفرت التنقيبات في هذه الفترة عن اكتشاف بقايا لأساسات معبد مؤلف من مدخل مع عتبة واسعة تركزت على قطع حجرية كبيرة مشذبة تحدّها الأبراج وفي الداخل غرف كبيرة ذات طقوس دينية. كما تم الكشف مؤخراً - إلى الجنوب من هذا المعبد - عن منشأة معمارية

متعددة الوظائف، فسرها المنقبون على أنها منطقة خدمية خاصة بالمعبد تضم غرفاً ومخازن. وقد عثر فيها على لقى ثمينة مثل ثور منحوت من العاج ومغطى بصفيحة رقيقة من الذهب. فضلاً عن أختام أسطوانية وحيوان خرافي على هيئة أفعى. والجدير بالذكر أن حجارة هذا المعبد أعيد استعمالها في أسس أبنية العصور الكلاسيكية. وتم الكشف عن بقايا متفرقة عند سطح التل تعود إلى العهد الفارسي.

١٠-تل جنديرس

يقع شمال-غربي سورية، ويتوسط هذا التل سهل العمق الذي يمثل معلماً جغرافياً أساسياً في هذا الجزء من سورية. ويمتد سهل العمق من الشمال- الشرقي إلى الجنوب- الغربي فيما بين جبل سمعان في الشرق وجبال الأمانوس في الغرب. ويبتدئ هذا السهل من شمال منطقة الحدود السورية- التركية وينتهي في الجنوب الغربي عند ساحل البحر المتوسط حيث مصب نهر العاصي. وفي وسط القسم الشمالي من السهل تمتد مرتفعات جبلية متفرعة من جبال طوروس لتشكل ما يعرف باسم جبل حلب، وتنتهي في منطقة الحمام على بعد ٩كم إلى الجنوب الغربي من تل جنديرس.

يقوم التل الأثري في الطرف الجنوبي- الغربي من بلدة جنديرس الحالية، ويأخذ شكلاً شبه دائري. ويبلغ معدل طول قطر ما تبقى منه ٤٥٠ م، وتبلغ مساحته نحو ١٤ هكتاراً. يقع التل في سهل يرتفع نحو ٢٠٠م فوق مستوى سطح البحر، ويصل أعلى ارتفاع للتل، في الركن الشمالي – الشرقي إلى ٣١م فوق مستوى السهل المحيط به. ويليه في الارتفاع الركن الشمالي –الغربي الذي يصل ارتفاعه إلى ٢٧,٥ م. ويلاحظ وجود ثلاثة مواضع فقط يتدرج فيها ارتفاع التل مما يدل على وجود بوابات للمدينة فيها.

دلت أعمال التحريات والتنقيبات الآثارية التي قامت بها بعثة المعهد الشرقي في شيكاغو oriental institute of the University of Chicagoعلى أن سهل العمق شهد استيطاناً متواصلاً منذ العصر الحجري الحديث، وقدرت البعثة عدد المواقع الآثارية في سهل العمق بنحو ١٧٨ موقعاً فضلاً على مواقع سهل عفرين. وكانت تلك البعثة قد أنجزت أعمالها بإدارة كل من مكيوان C.W.McEwan وبريدوود R.J.Braidwood بين عامي ١٩٣٣ و١٩٣٧م، وشملت أعمالها التنقيب في المواقع الآثارية: تل جديدة وتل طعينات وتل جطل حيوك (ر .(Gatal Hüyük) (وقد أدت الدراسات التي قامت بها البعثة للفخار والأدوات الحجرية التي اكتشفتها إلى وضع التقسيم المتبع حالياً للأدوار التأريخية في شمالي سورية وجنوبي بلاد الأناضول.

ونظراً لضخامة موقع جنديرس وأهميته قامت بعثة أثرية سورية- ألمانية مشتركة من عام ١٩٩٢ حتى عام ٢٠٠٤م بالتنقيب في الركن الشرقي من التل، وبإدارة ديتريش زورنهاغن Dietrich Surenhagenمن الجانب الألماني، وأنطوان سليمان ومحمد قدور، بالتعاقب من الجانب السوري. وبدءاً من عام ٢٠٠٦م تابعت بعثة وطنية التنقيب في الركن الغربي من التل.

أسفرت التنقيبات في الركن الشرقي عن وجود استيطان مهم يعود إلى العصر البرونزي الوسيط، فقد تم الكشف عن معبد يعود للعصر البرونزي الوسيط وهو مرصوف ببلاطات من القياسات الكبيرة، ويشاهد كذلك ثلاث قواعد بازلتية ضخمة لتحمل الأعمدة الخشبية في ساحة المعبد، كما أشار أنطوان سليمان إلى وجود قصر في الجهة الشرقية من التل.

أما في الركن الغربي فقد بينت التحريات الأثرية وجود تسلسل أثري أوضح من الركن الشرقي لأنّه لم يتعرض إلى تخريب كبير جراء إشادة أساس للتحصينات الكبيرة في الطبقة الرومانية، وما تم تحديده حتى عام ٢٠١٢ هو أربع طبقات أثرية تعود للعصر الكلاسيكي.
كما أنه ومن خلال سبر في المنحدر الشمالي من التل، تم تحديد ثلاث طبقات أقدم من الكلاسيكي: الأولى تعود للعصر البرونزي القديم، والثانية للعصر البرونزي الوسيط، في حين ضمت الطبقة الثالثة استيطاناً كثيفاً يعود للعصر الحديدي.II
وتعود أقدم طبقات العصر الكلاسيكي للعصر السلوقي (القرن الثالث قبل الميلاد). أما الاستيطان اللاحق فيعود إلى الفترة البارثية- الرومانية الباكرة (القرن الأول قبل الميلاد)، وأما الاستيطان الثالث فيعود إلى العصر الروماني المتأخر (القرن الثالث الميلادي)، وعلى السطح هناك استيطان من العصر البيزنطي في بعض القطاعات (القرنين الرابع والخامس الميلاديين).(
وأهم ما كشف عنه في الطبقة العائدة إلى العصر السلوقي مقبرة عائلية وبجانبها غرفة لإقامة الطقوس والشعائر الدينية، فقد تم الكشف عن خمسة قبور أحدها لطفل صغير، وثلاثة منها ليافعين والأخير لشخص كبير. وبعض هذه القبور كان مغطى بأمفورات شبيهة بقبور من مواقع معاصرة مثل جبل خالد ودورا أوروبوس
وقد عثر في الغرفة الملاصقة لهذه المقبرة على مذبح وقناة تنتهي في حفرة خصصت لرمي النفايات، وبجانب المذبح مجموعة من الأواني الفخارية المستخدمة في هذه الشعائر من كؤوس فخارية ذات قاعدة طويلة، ومساند لجرار كبيرة، وأهمها كأس كبيرة من البازلت بنقوش تزيينية، يرجح أنها مبخرة.
أما الطبقة العائدة للفترة البارثية- الرومانية فقد تميزت بعمارة فقيرة على العموم، وعثر فيها على عدة نماذج من الفارس البارثي، ويبدو أن هذه الفترة قد انتهت نهاية عنيفة ، فقد ظهرت طبقة حريق في بعض أنحاء الموقع، ويرجح أن تكون نتيجة النزاع مع البارثيين الذين استطاعوا الوصول في عام ٣٨ ق.م إلى هذه المنطقة والانتصار على الرومان والاستقرار فيها لفترة.
الطبقة التي تعود إلى العهد الروماني فقيرة من الناحية المعمارية، وتأخذ طابعاً سكنياً، وأبرز ما تم العثور عليه هو منشأة لتخمير عصير العنب للحصول على النبيذ. وتتألف هذه المنشأة من عدة أحواض من الطين تتصل مع بعضها بقنوات من الطين أيضاً، وهي مصممة بحيث تترسب الشوائب التي تبقى في العصير وفقاً لقنوات تنساب من جرن كبير عبر خطوط متعرجة من الطين، لتنتهي بحوضين عميقين أحدهما أقل عمقاً. وهناك جرة ملونة باللونين البني والأحمر وبجانبها قمع لصب الخمر، وقمع يأخذ شكل رأس الحصان مفتوح من الأعلى وله ثقب في أسفله، وعلى الأرجح هو لقياس نسبة التخمر.
أما في الطبقة الأولى المعاصرة للاستيطان البيزنطي من القرن السادس الميلادي، فأهم ما كشف بالقرب من الطبقة السطحية، بناء كبير تبين أنه على الأرجح حمام. ويضم عدة فراغات أرضياتها مفروشة بلوحات فسيفسائية، وأكمل هذه القطع الفسيفساء الجنوبية وأبعادها ٢ × ٣م. وهي ذات نمط هندسي ملون باللونين الأسود والأبيض، وقد أخذت أشكال مربعات يحيط بها ثلاثة أشرطة زخرفية من الحجر البازلتي الأسود علاوة على زخارف أخرى هندسية بداخل الإطار الداخلي. أما الفسيفساء الثانية والثالثة فهي غير كاملة ولكنها تحمل تصميماً مغايراً، فهي مصنوعة من لون واحد هو الأبيض ولكنها أظهرت زخارف من

خلال طريقة تشكيل الأحجار الصغيرة لتعطي أشكالاً نباتية لورود. ويرتبط هذا البناء بقناة مرصوفة حجرية تمتد حتى طرف التل حيث تصرف المياه إلى خارج الموقع، وقد عثر في الركن الشرقي على بناء لحمام مشابه، ولكنه من دون قناة تصريف واضحة.
ومن اللقى المهمة في تل جنديرس ختم أسطواني من حجر الستياتيت الأسود steatite مثقوب بشكل طولاني نقش عليه مشهد لرجل واقف وهو مشابه لشكل الإله بعل، ومما لا شك فيه أن هذا الختم يعود لعصور أقدم من العصور الكلاسيكية.كما عثر على جعران يحمل مشهداً لفهد وشجرة ولكن من دون كتابة وهو يعود لعصور قديمة أيضاً. ومن اللقى النادرة التي تم العثور عليها في سويات العصر الروماني قطعة كبيرة مصنعة من الرصاص.
الاسم القديم لتل جنديرس
تتضح أهمية سهل العمق من خلال الموقع الجغرافي وقد عرف في العصور القديمة باسم أُنق unqiوله مصطلح سياسي هو خَتّينا .Khattina وقد ذكرت النصوص الملكية الآشورية من القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد عاصمة مملكة سهل العمق باسم كينالوا (Kinalua) أو كينالیا(Kinalia) ، أو كونولوا(Kunulua) ، ووصفتها مرّةً بأنها عاصمة خَتّينا، ومرّة أخرى بأنها عاصمة أُنق) unqi سهل العمق). ويظهر اسم كينالوا في ثلاثة نصوص لملوك آشوريين أولهم آشور- ناصر بال الثاني (٨٥٩-٨٨٣ ق.م) حيث يصف في نص حولياته المنقوش على جدران معبد ننورتا في كلخ (نمرود) رحلة حملته إلى منطقة العمق وجبل لبنان، ويرد في النص أن الملك الآشوري عبر مع جيشه نهر الفرات في طريقه من بيت – أدين إلى كركميش ومن ثم يعبر نهر أبري) Aprê عفرين) إلى مدينة كونولوا، بعد مسيرة يوم واحد. والنصان الآخران فهما من عهد الملك الآشوري سنحاريب (٦٨١-٧٠٤ ق.م)، وعهد الملك آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٧ ق.م.(
أما عن اسم جنديرس القديم في الألف الثاني ق.م فمن المرجح أنه أُنِقا Uniqa ، فقد ذكر هذا الاسم في نصوص ألالاخ من الطبقة الرابعة والطبقة السابعة في ١٥ نصاً. وفي ذلك الوقت كانت ألالاخ هي العاصمة لسهل العمق، وعندما هجرت ألالاخ في الألف الأول أصبحت مدينة أُنِقا هي العاصمة، وغدا اسم المدينة كينالوا كما ذكر آنفاً، وحافظ سهل العمق بوجه عام على الاسم القديم له وهو أُنِق . ولذلك نرجح هنا ان يكون موقع مدينة أُنِقا، في الألف الثاني قبل الميلاد، هو موقع مدينة كينالوا نفسه في الألف الأول قبل الميلاد، أي تل جنديرس. اسم المدينة في الفترة الكلاسيكية، وكما هو وارد في النصوص والنقوش الهلنستية ومن ثم الرومانية، وكان جَنداروس، وهو أصل الاسم الحالي لبلدة جنديرس والتل نفسه.
ويمكن استعراض تاريخ هذه المدينة خلال العصور الكلاسيكية من خلال مطابقة الدلائل الأثرية والنقوش الكتابية المكتشفة. ففي العصر السلوقي – البارثي احتلت جنديرس بموقعها الجغرافي مكاناً مهماً كونها تتوسط الطريق الواصل بين أنطاكية وسيروس (النبي هوري)، وهو نفسه الطريق الواصل إلى المعبر الرئيس على الفرات زويغما. وخلال هذه المرحلة كانت جنديرس نقطة عسكرية وسكانها في غالبيتهم من الجنود اليونانيين والمقدونيين، وتمول كل المواقع العسكرية القريبة بما تحتاج إليه من مواد تموينية.
وفي العصر الهلنستي المتأخر والروماني الباكر بقيت جنديرس محايدة في الصراع بين البارثيين والسلوقيين، بعد الاتفاق الذي تم بعد عام ١٣١ ق.م بين الطرفين على أن يصبح نهر الفرات هو الحد الفصل بن الدولتين، ولكن هذا الحال لم يستمر، ففي عام ٣٨ق.م تمكن

البارثيون من السيطرة على جنديرس وقتل حاكمها باكوروس خلال محاولتهم السيطرة على الشمال.
وفي العصر الروماني المتأخر ظهر النفوذ الساساني الأكثر طموحاً في السيطرة على المنطقة، فقد ذكرت مدينة جنديريس في نقش من عهد الملك شابور خلال توجهه إلى أنطاكية وسيروس حيث تمت السيطرة عليها في عام ٢٥٥ أو ٢٥٦ م، وهذا ما تؤكده طبقة الحريق الضخمة في الطبقة الثالثة في جنديرس. أما في العصر البيزنطي فقد أصبحت جنديرس مركزاً مهماً حتى إنها أصبحت في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي مقر أسقفية.

١١-تدمر

تقع مدينة تدمر (Palmyra) الأثرية على بعد حوالي ٢٤٣ كم من العاصمة دمشق، وعلى بعد حوالي ١٥٠ كم شرقي مدينة حمص، وهي تتوسط بادية الشام ، وتتوضّع في حوضة نبع غزير بالمياه وهو نبع أفقا، حيث تشكلت نتيجته واحة خضراء أصبحت مكان استراحة بين العراق والشام ومحطة للقوافل بين الخليج العربي وبلاد فارس والبحر المتوسط.
تمتعت تدمر وملكتها زنوبيا بشهرة كبيرة في العالم الغربي بعد عصر النهضة، وهذا ما دفع الكثير من الرحالة الأوروبيين لزيارتها، ومن بينهم الإيطالي دلاّفالي الذي قام بزيارتها في عامي ١٦١٦ و١٦٢٥م، وكذلك الفرنسي تافرنييه الذي زارها في عام ١٦٣٨م، وبعد ذلك زار تدمر العديد من التجار الإنكليز، وفي عام ١٧٥١م قام الإنكليزيان وود ودوكنس بزيارة تدمر، ومسحها أثرياً، ثم نشرا نتائج أعمالهما في عام ١٧٥٣م في كتاب قيّم بعنوان [أطلال تدمر] تم نشره باللغتين الفرنسية والإنكليزية، وقد فتح هذا الكتاب أعين الباحثين على أهمية تدمر، مما دفع الفرنسي بارتلمي والإنكليزي سوينتون إلى تفسير الكتابات التدمرية، وفي عام ١٨٨١م اكتشف الأرمني الروسي أباماليك لازاريف نص القانون المالي التدمري الذي نقل فيما بعد إلى متحف الأرميتاج في سان بطرسبرغ الروسية، وهو أطول النصوص المالية من ذلك الزمن وأكثرها أهمية، ثم نشر الألماني فيغاند مؤلفاً ضخماً عن تدمر بعد أعمال أثرية قام في المدينة بين العامين ١٩٠٢ و ١٩١٧م، وفي عام ١٩٤١م أرسلت الأكاديمية الفرنسية بعثة أثرية لنسخ الكتابات التدمرية، وآل المشروع في النهاية لنشر مؤلف [جامع الكتابات السامية] وكان الجزء الثاني منه مخصص لتدمر، واعتباراً من عام ١٩٢٤م بدأ الدنماركي هرالد إنغولت أعمال تنقيب في تدمر، وبعد استقلال سورية قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف بالتنقيب في تدمر وترميم آثارها، واستمرت تلك الأعمال حتى بداية الأزمة التي تشهدها سورية حالياً.
العمارة: تتوزع معظم المنشآت المعمارية في تدمر على جانبي الشارع الطويل الذي يمتد من المدخل الرئيسي لمعبد بل إلى بوابة دمشق، وهو يتألف من أربعة أقسام، حيث يمتد قسمه الأول من بوابة المعبد حتى قوس النصر ، وهو ذو طابع ديني لقربه من المعبد الكبير، ويمتد قسمه الثاني فيما بين القوس والمصلبة [التترابيل]، ويمتد قسمه الثالث فيما بين المصلبة وهيكل الموتى، أما قسمه الرابع فيمتد حتى بوابة دمشق، وفيما يلي عرض موجز لأهم تلك المباني:
المسرح: يقع على يسار الشارع المستقيم، بني مدرجه في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي ، بينما شيدت المنصة في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الميلادي.

للمسرح مدخل نصف بيضوي بدلاً من نصف دائري كما هي العادة، وتوجد عند بوابته الشمالية الغربية محلات لبيع الطعام والشراب، لها لافتات حجرية عليها كتابات يونانية تعلن عن بضاعتها. بني المسرح من الحجارة الكلسية، وله مدرج بقي منه ثلاثة عشر صفاً، ويبلغ ارتفاع الواحد منها ٣٧ سم، وعرضه ٦٠ سم، وتوجد في المسرح فسحة الأوركسترا وهي مبلطة بالحجارة، ولها ثلاثة بوابات وهي الشرقية والغربية على الجانبين، والبوابة الجنوبية المستخدمة لإدخال الحيوانات المفترسة للمصارعة، وتبلغ أبعاد المنصة نحو ١٠.٥ × ٤٨م، وخلفها ممران متوازيان بينهما حائط، وللمنصة خمسة أبواب تصل بينها وبين الممر الخلفي، أكبرها يقع في الوسط، وفيها أيضاً ثلاثة إيوانات لها محاريب توضع فيها تماثيل آلهة الفنون، ولصغر المسافة لم يبنى فيها غرف للممثلين، كما يوجد في حائط البوابة ثقوب لتعليق البرامج والعروض، إذ كانت تُعرض فيه الكوميديا والتراجيديا والموسيقى، كما كان المجرمون المحكومون بالموت يتصارعون مع الأسود أو الحيوانات المفترسة في منطقة الأوركسترا بعد أن يزودوا بإبر صغيرة للدفاع عن أنفسهم، وقد وضع سياج معدني بين المدرج والأوركسترا لحماية المتفرجين، ثُبت بالأعمدة المعدنية على ثقوب ما زالت موجودة حتى الآن.

مجلس الشيوخ: هو عبارة عن بناء مستطيل، بداخله إيوان كالحنية له مدرّج على شكل نعل حصان، وقد يكون هذا المجلس للتجار أو مركزاً لشيخ السوق.

الآغورا: وهي عبارة عن باحة مستطيلة مسورة ، تبلغ أبعادها نحو ٤٨ × ٧١ م، ويعود تاريخ بنائها إلى عهد الإمبراطور فسباسيانوي ٦٩-٧٩م، وعهد الإمبراطور تراجانوس ٩٨-١١٧م، ولكن مجموع الأعمال قد نفذت وانتهت خلال عهد الإمبراطور هادريانوس ١١٧-١٣٨م. وكانت هذه الباحة محاطة بأروقة ذات أعمدة كورنثية، وكانت تعقد فيها الاجتماعات العامة في السلم والحرب، كما كانت تتم فيها المبادلات التجارية، وللساحة أحد عشر مدخلاً لتسهيل حركة الدخول والخروج، كما يمكن رؤية سبيلين للسقاية في الزاوية الشمالية-الشرقية، وتم العثور أيضاً على بقايا منصة كانت تستخدم للخطابة أو لأغراض الإعلان التجاري. وقد دلت الكتابات الكثيرة المكتشفة في هذا السوق على إقامة تماثيل بأمر من مجلس الشيوخ، وذلك لتخليد بعض الشخصيات التي كان لها دور في حياة المدينة، كما دلت تلك الكتابات على وجود عملية توزيع للأروقة على حسب المركز الاجتماعي والوظيفي لبعض الشخصيات، وقد خصصت الحوامل في الرواق الشرقي لرفع تماثيل أعضاء مجلس الشيوخ والأسرة المالكة في تدمر، وكذلك تماثيل بعض الأباطرة، أما الرواق الغربي فقد كان مخصص لتماثيل القادة العسكريين، وبالنسبة للمدنيين والموظفين فقد خصص لهم الرواق الشمالي، وخصص الرواق الجنوبي لرجال المال والتجار.

المصلّبة [التترابيل]: وهي مفترق الطريقين الرئيسيين في المدينة، تتألف من مصطبة تحمل أربعة قواعد يعلوها أعمدة من الغرانيت بينها تمثال فوق قاعدة، وفوق الأعمدة تيجان كورنثية وسقوف وأفاريز مزخرفة.

معسكر ديوقلسيان: بني خلال القرن الثالث الميلادي، وكان له بوابة وشارع يوصل إلى المصلبة. وقد تم بناءه ضمن ضرورات حماية الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية من الفرس البارثيين، حيث أمر الإمبراطور ديوقلسيان بترميم وتحويل أطلال قصر ملكي أو معبد إلى معسكر لقادة القوات المتمركزة في تدمر.

الأعمدة التذكارية: تحتوي المدينة على عدة أعمدة تذكارية منفردة، أقيمت في أماكن بارزة بأمر من مجلس الشيوخ للأشخاص البارزين الذين ساهموا في ازدهار المدينة.
الحمامات: وهي عبارة عن تجمع معماري يتألف من مبنى رئيسي مقسوم لثلاثة أقسام، وهي القسم البارد والدافئ والحار، تتقدمه واجهة مؤلفة من أربعة أعمدة غرانيتية حمراء جلبت من مصر، ويضم مجموعة ملحقات كالمراحيض وباحة للرياضة والاجتماعات.
البيوت: عثر في مدينة تدمر على عدة بيوت في بعض الأحياء السكنية التي كانت منتظمة في جزر سكنية منتظمة ضمن شبكة مربعات من خلال الشوارع المتقاطعة والمتوازية، وكانت تلك البيوت تتألف بشكل عام من مدخل يقود بشكل غير مباشر إلى ساحة معمّدة محاطة بالأروقة التي تنفتح على مجموعة من الغرف والمرفقات، ويمكن تقسيم البيوت السكنية في تدمر إلى نمطين أساسيين وهما:
النمط الأول: مخططه بسيط يتألف من ساحة مركزية واحدة، وقد بلغت مساحة بعض البيوت حوالي ٩٤٥ م^{٢} ، وله مدخل ضيق متعرج، وساحة مربعة الشكل محاطة من جوانبها بالأعمدة، وتوجد في كل جانب خمسة أعمدة، كما يوجد رواق مضاعف في الزاوية الشمالية والغربية، وثلاثة غرف متجاورة، تقع الغرفة الأكبر منها في الوسط وهي مخصصة للاستقبال، كما توجد غرف أخرى على جانبي الساحة ذات وظائف مختلفة.
النمط الثاني: وهو أكثر تعقيد من الأول، حيث أحتوى أحد تلك البيوت المكتشفة على أكثر من ساحة، ووصلت مساحة أحداها إلى ٩٠٠م^{٢}، وهو يتألف من ثلاثة ساحات، وغرف طابقية، وتم تقسيم البيت إلى عدة أجنحة، خصص إحداها للمعيشة، وآخر لاستقبال الرجال، ويبدوا أنه كان هناك نوع من الفصل بين قسم الرجال والنساء.
كما كشف عن بعض البيوت في الحي الواقع شرق معبد نبو، تصل مساحة أحدها إلى ١٦٠٠ م^{٢} ، ولهذا البيت باب كبير محاط بممرين جانبيين ويتألف من سبع عشرة غرفة تتجمع بشكل منتظم حول ثلاث ساحات، الساحة الأولى كبيرة مربعة الشكل محاطة بالأروقة حملت على ستة أعمدة من كل جانب، أما الساحة الثانية فكانت محاطة كذلك بثلاثة أعمدة من كل جانب، كما يوجد دهليز ومدخل عريض وعميق، وتوجد مقابل هذا المدخل غرفة كبيرة استخدمت كغرفة للاستقبال، وأخيراً توجد ساحة ثالثة زودت في مركزها بحوض ماء. كما توجد بيوت أخرى مشابهة بمخططاتها لهذا البيت. أما في الحي الواقع إلى الشرق من معبد نبو، فتختلف بيوته عن البيوت السابقة، نجدها على شكل سلسلة من الحجرات التي ينفتح بعضها على بعض، ويوجد ممر مبلط يقود إلى ردهة صغيرة تتوزع حولها بعض الغرف، كما تحتوي هذه الردهة على بئر وحوض حجري كبير. وتعود البيوت المذكورة لعائلات ميسورة الحال، تشهد على ذلك أحجام المنازل وانتظامها بالجزر السكنية، التي تقع في نقاط مهمة من المدينة على مقربة من الشارع المستقيم أو تكون قريبة من بعض المعابد. أما البيوت الأخرى البسيطة فقد ترتبت في الحي الشمالي الغربي بعيداً عن الشارع المستقيم وعن المعابد الرئيسة، لذلك نجد في تدمر نوع من الفصل بين الأحياء الفقيرة والأحياء الغنية.
المعابد: تتألف المعابد التدمرية بشكل عام من باحة فسيحة معدة للطواف يتوسطها هيكل مركزي في صدره حجرة للمعبود، ولهذا الهيكل نوافذ وسقف مستوي مع واجهته المثلثة، وتحتوي الباحة أيضاً على حوض للتطهر ومذبح وغرفة للولائم الدينية، ويحيط بها مجموعة من الأروقة لمتابعة الطقوس والمواكب الدينية، ومن أهم تلك المعابد:

معبد بل: وهو من أهم المعابد التدمرية [الشكل: ١٠]، كان مكرس بشكل أساسي لعبادة الإله بل، وللثالوث الذي يضم الإله بل ويرحبول [رب الشمس] وعجيبول [رب القمر]. دشن هذا المعبد في سنة ٣٢م، وتم الانتهاء من بنائه في القرن الثاني الميلادي، وبعدها تهدم خلال الحرب التي قامت بين تدمر والرومان سنة ٢٧٢م. يتم الدخول إلى المعبد من خلال درج عريض ينتهي برواق خارجي له ثمانية أعمدة، يفضي إلى بوابة ذات ثلاث مداخل، وعلى طرفيها يوجد برجان مزخرفان، كما يوجد في الجهة الغربية ممر في أسفل الرواق كان مخصصاً للحيوانات المعدة للأضاحي. ويتألف المعبد من الهيكل الرئيسي الذي يقع في وسط باحة مربعة واسعة تبلغ أبعادها ٢٠٥ X ٢١٠ م، ويحيط بها سور مزود بأروقة محمولة على أعمدة ذات تيجان كورنثية، ويوجد درج لولبي في الزاوية الشمالية كان يؤدي إلى سطح الرواق، وتوجد أمام هذا الهيكل عدة ملحقات كمذبح الأضحيات وحوض التطهير وكذلك قاعة الولائم. شيد الهيكل على مصطبة مرتفعة، بامتداد العرض بدلاً من امتداده الطولي على محور البوابة، ويحيط به رواق محمول على أعمدة مخددة، وتيجان ذات زخارف كورنثية، نقشت عليها مشاهد دينية وأسطورية وزخارف حيوانية ونباتية وهندسية. ويوجد بداخل الهيكل محرابان كانا مخصصين لوضع تماثيل الآلهة، حيث كان المحراب الجنوبي مخصص للإله بل، بينما خصص المحراب الشمالي لبقية الآلهة، وقد زين سقف المحرابين بزخارف متنوعة. أما بالنسبة للتأثيرات، فتبدوا التأثيرات الكلاسيكية جلية من خلال وجود التيجان الأيونية والكورنثية والجبهات المثلثية والبنية العامة للهيكل. أما التأثيرات المحلية فتبدوا جلية من خلال الأبراج فوق الهيكل، والمحراب داخل الهيكل، كما أن بوابة الهيكل شبيهة ببوابات المعابد المصرية، أما بالنسبة للزخارف فهي تحمل سمات شرقية وكلاسيكية.

معبد نبو: يقع هذا المعبد إلى الغرب من قوس الشارع المستقيم، وهو معاصر لمعبد بل، إذ تم البدء ببنائه خلال النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، وتوسّع وتطوّر حتى بداية القرن الثالث الميلادي، وأسهمت في بنائه عائلة إيلابل صاحبة المدفن البرجي الشهير، وبعدها تهدم خلال الحرب التي قامت بين تدمر والرومان سنة ٢٧٢م. يأخذ المعبد شكل شبه المنحرف، ويحيط به سور غير منتظم، إذ تقع البوابة الرئيسية في الجهة الجنوبية، تكتنفها ثلاث غرف متصلة مباشرةً بالأروقة الداخلية حول باحة المعبد التي تحتوي على خزان ماء فتحته عبارة عن حلقة من الحجر، وكانت مياهه تؤخذ للتطهير، وبعده يوجد بناء من الحجر الكلسي الأبيض عليه نقش سبعة آلهة، وله أفاريز مزخرفة، وفي كل زاوية منه ثلاثة أعمدة، ويبدو هذا البناء مشابهاً للمذبح الفخم الكائن في معبد جوبيتر في بعلبك. والهيكل مبني على منصة، طوله ٢٠م وعرضه ٩م، وحوله ٣٢ من الأعمدة الكورنثية، وأمام الهيكل درج عريض يقود إلى مدخل جميل فيه عمودان ورواق أعمدته كورنثية، والرواق الشمالي أزيل لبناء رواق ضخم في الوسط يعود إلى القرن الثاني الميلادي، وفي صدر الحرم محراب لتمثال الرب، وقربه يوجد درج يقود إلى وسط الهيكل كما في معبد بل.

معبد بعلشمين: يقع في الجهة الشمالية من المدينة، وهو مكرس لعبادة الإله بعلشمين سيد السموات وإله المطر والخصب في تدمر، وقد تم بنائه في القرن الثاني الميلادي فوق معبد أكثر قدماً يعود إلى بداية القرن الأول الميلادي، لم يبقى من آثاره سوى غرفة المائدة وبعض الأروقة ومدفن عتيق. ويتألف المعبد من هيكل وباحتين شمالية وجنوبية فيهما رواق، يحمل هذا المعبد بعض الخصائص الشرقية كالعضائد الخارجية والنوافذ وعدم وجود الأساس المدرج تحت الهرم.

معبد اللات: يقع في الحي الغربي من المدينة، ويعود تاريخه للقرن الثاني الميلادي، وهو مبني فوق معبد قديم يعود للقرن الأول الميلادي. يتألف هذا المعبد من مدخل رئيسي ينفتح على رواق من ستة أعمدة، يفضي إلى الهيكل ذي الأبعاد ١٠ X ١٩م، كان يحيط به رواق محمول على أعمدة كورنثية الطراز، ويقع الهيكل وسط ساحة مستطيلة واسعة بأبعاد ٢٨ X ٧٢م.

معبد بلحمون ومناة: يقع هذا المعبد في قمة الجبل الغربي [المنطار]، وقد تم بنائه في سنة ٨٨م، وكرّس لإله كنعاني وللإلهة العربية مناة إلهة المنية والقدر والمصير.

المدافن التدمرية: عثر في مدينة تدمر على الكثير من المدافن، وكان يطلق عليها اسم بيت الأبدية، حيث كان لكل أسرة مدفنها الفخم المزخرف والمزود ببئر للسقي والتطهر، وكان لتلك المدافن باب من الحجر المنحوت، وعادةً ما يكون فوقه نافذة للإنارة والتهوية، وكان يوضع عليه تاريخ البناء واسم صاحبه، أما الجدران الداخلية ففيها قبور على شكل أرفف عمودية على الجدران، تتوضّع فوق بعضها البعض، ويفصل بينها ألواح من الرخام أو الحجر، وقد جرت العادة عند التدمريين أن يُغلق القبر بتمثال نصفي يسمى صلم أي صنم أو نفشا أي نفس، ويدون عليه اسم الميت وتاريخ وفاته، وأحياناً تضاف كلمة هبل أي وا أسفاه، ويوجد في صدر الجناح الرئيسي للمدفن سرير جنائزي يضم تماثيل باني المدفن وأفراد أسرته الأموات والأحياء، وهي وليمة رمزية تؤنس وحشة الميت في عزلته الأبدية، ويُقام السرير فوق قائمتين بينهما واجهة عليها أيضاً تماثيل نصفية لأفراد الأسرة، وعادة يكون تمثال رب الأسرة مضطجعاً وإلى جانبيه زوجته وبعض أولاده وقوفاً، وتكون يد الميت مفتوحة استسلاماً للموت أما الأخرى فتقبض على شيء دليل حب الحياة، ويرتدي الجميع الملابس الجميلة المطرزة، كما تتحلى النساء بالمجوهرات. ويمكن تصنيف المدافن التدمرية إلى عدة أنواع وهي:

المدافن البرجية: وهي أقدم المدافن، وتعتبر تصميم تدمري محض يلائم مناخ تلك المنطقة وأذواق سكانها، معظمها يعود إلى القرن الأول ق.م، وقد حظيت بعناية في بداية القرن الأول الميلادي فصارت تزخرف من الداخل والخارج، وعادةً ما تكون تلك المدافن مربعة الشكل مبنية فوق مصطبة لها أدراج، ويتألف بناءها من ثلاثة إلى أربع طوابق يقود إليها درج حجري، طابقها الأول مزين بالنقوش والعضائد والأفاريز والتيجان والزخارف، أما السقف فمقسم على أشكال هندسية متناظرة، مدهونة بالألوان، بينها أشكال إنسانية نافرة، وأفضل النماذج الباقية لهذه النوعية من المدافن هي:

مدفن عتنتان: يعود هذا المدفن لسنة ٩٨م، وهو عبارة عن بناء بسيط غير مزخرف، يتألف من ستة طوابق، وله باب صغير، وقد تم توسيعه في عام ٢٢٩م بإضافة بناء إلى الشمال، وكان مكرس لشخص تدمري اسمه مقاي، نُقش رسمه على ظهر بلاطة القبر وهو بين خادمين أحدهما يمسك له حصانه والآخر يمسك له قوسه.

مدفن إيلابل: وهو من أشهر وأكبر المدافن البرجية، يعود إلى سنة ١٠٣م، وكان ملكاً لأخوة أربعة هم إيلابل وشاكي ومعني ومقيمو، وهم أولاد وهب اللات بن معني، وكان لهذه الأسرة شأن في ازدهار المدينة وبنائها. يتألف المدفن من أربعة طبقات، وله مدخله من الجهة الجنوبية، وله أيضاً قبو مدخله من الجهة الشمالية ويحتوي على قبور أرضية. وللمدفن باب حجري يعلوه حجر الأساس الذي نُقشت عليه كتابات باليونانية والتدمرية تُشير إلى اسم العائلة التي تملكه وتاريخ بنائه، وفوق الحجر توجد شرفة. وقد خصص هذا المدفن للاستثمار

التجاري، وكان يتسع لـنحو ٣٠٠ ميتاً، وكان يؤجر القبر فيه لمدة معينة، ويوجد على طرفي كل جدار من جدران قاعته الأرضية معازب مستطيلة، يتألف كل منها من تسعة رفوف لعشرة قبور، وكان الميت بعد معالجته حسب الطقوس، يُلّف بالحرير، ويُدخل في المعزب، ورأسه عند الفتحة، ثم يُغلق القبر بتمثال نصفي له وعليه اسمه، وكان لتلك المعازب عضائد مخددة تيجانها كورنثية، والسقف فيه مربعات منقوشة وملونة، وعلى يمين الباب من الداخل يوجد نحت للإخوة الأربعة، وفي الجدار الشمالي تماثيل نصفية للعائلة وهم يجلسون على السرير الجنائزي، كما توجد نقوش لخمسة من النسوة هن زوجات الإخوة مع واحدة من أخواتهم، وفوقهم صف من أربعة نقوش للإخوة الأربعة، وفوق الباب نقش لأحد أبناء إيلابل وقربه نقشان في الأعلى وثلاثة في الأسفل، وعلى يسار المدخل درج يقود إلى الطبقات الأخرى.

مدفن كيتوت: بُني هذا المدفن في عام ٤٠ أو ٥٠م، ويبلغ ارتفاعه نحو ١٠م، وقد نُقشت في محرابه وليمة جنائزية في الجهة الشرقية، وهو من أوائل القبور في تدمر التي تأثرت بالأسلوب الفارسي البارثي.

قبر لامليكو أو يمليكو: يقع على منحدر تلة أم بلقيس جنوب وادي الملوك، وقد بُني في عام ٨٣م، وهو عبارة عن قبر عائلي، رُمم بين عامي ١٩٧٣ و١٩٧٦م، ويتميز بأعمدته الكورنثية وإفريزه الجميل، بقي منه ثلاثة طوابق، وهو يحتوي على ٢٠٠ قبر.

المدافن الأرضية: يعود هذا النوع من المدافن في تدمر إلى الفترة الممتدة من ٨١ إلى ٢٥١م، ومن أشهر تلك المدافن:

مدفن الأخوة الثلاث: يقع هذا المدفن في المنطقة الجنوبية الغربية لمدينة تدمر، ويعود تاريخه إلى نحو منتصف القرن الثاني الميلادي، وقد تم تأسيسه من قبل الأخوة مالئ وسعدي ونعماي، وبقي قيد الاستعمال حتى عام ٢٥٩م. وهو مدفن نصف تجاري، ويستوعب ٣٩٠ ميتاً، وجدت فيه كتابات تشير إلى التنازل عن أجزاء من المدفن لقاء مبلغ معين. عثر على هذا المدفن عن طريق الصدفة من قبل أحد الفلاحين الذي كان ينقل حجارة لبناء بيته، ثم بدأت عمليات التنقيب فيه منذ عام ١٩٣١م بعد أن كان اللصوص قد نهبوه ولم يبق فيه إلا العظام ومخلفات بسيطة. تتقدم المدفن بوابة حجرية ضخمة يعلوها ساكف مزين بكورنيش، ويتألف من ثلاثة أروقة، رواق مركزي في الوسط يحتوي على صفوف من المعازب من كل جانب وفي نهايته توجد غرفة مربعة الشكل تحيطها في كل جانب من جوانبها الثلاثة أربعة صفوف من المعازب، وقد عثر ضمن هذه الغرفة على لوحات جدارية ملونة تمثل الفن الهلنستي والسوري الغني بالرسومات الرائعة، وإلى جهة اليمين من الرواق المركزي يوجد رواق يحتوي على ثمانية صفوف من المعازب من كل جانب، تتصدره ثلاثة توابيت حجرية كانت تخفي خلفها أربع صفوف من المعازب، وكذلك يوجد إلى الشمال منه رواق أخر شبيه بالرواق السابق غير أنه لا يضم التوابيت الحجرية.

مدفن يرحاي: يقع هذا المدفن في وادي القبور بمدينة تدمر، ويعود تاريخه لسنة ١٠٨م، وقد أعيد بناؤه في متحف دمشق الوطني، وهو يتميز بغناه بالمنحوتات النصفية التي تمثل الأشخاص الذين دفنوا فيه بوضعيات مختلفة تشير بوضوح إلى فن محلي خالص في النحت.

حفر هذا المدفن في الصخر الكلسي، وهو عبارة عن باحة مربعة الشكل، طول ضلعها ٣،٣٠م، ويتم الوصول إليها عبر درج، وتوجد في جهة اليمين حجرة نقشت فوق مدخلها كتابة تأسيسية. ويقود الدرج إلى داخل المدفن الذي يتألف من مصطبتين جانبيتين، الأولى في

الجانب الغربي والثانية في الجانب الشرقي، ويمتد على طول المدخل ممر مقسوم لثلاثة أقسام، يوجد في إحداها ثلاثة توابيت تحمل فوقها أسرّة جنائزية.
مدفن أرطبان: يقع هذا المدفن في منطقة المدافن الجنوبية الشرقية، ويعود تاريخه إلى نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلادي، وقد تم اكتشافه من قبل البعثة السورية في عام ١٩٥٧م، وذلك أثناء تمديد أنابيب النفط العراقي. وأرطبان هو زبدون بن مالك بن يرحاي الراهب الطيب لعجلبول وملكبل. للمدفن باب حجري منحوت تزخرفه رأس عنقاء ممسكة بحلقة الباب، وأشكال هندسية، ووراء الباب يوجد بئر كان يستعمل للسقاية والتنظيف وملء الأحواض الصغيرة أمام المعازب، ويتألف المدفن من جناح رئيسي وأربعة أجنحة جانبية محفورة بالأرض تكسوها من الداخل واجهات جصية حول المعازب، والسقف معقود من الحجر، وكذلك إيوان الجناح الرئيسي. وتأتي الكتابات المدونة على التمثال الموجود في الجناح الرئيسي وعلى تمثال أخر على ذكر أرطبان، مما يؤكد أنه هو من بنى هذا المدفن الذي يحتوي على ست وخمسين من المعازب، في كل منها خمسة قبور أي ما يعادل ٢٨٠ قبراً.
مدفن الأخوين بوررفا وبولحا: عثر على هذا المدفن في عام ١٩٩٤م من قبل البعثة الأثرية السورية اليابانية المشتركة، ويعود تاريخه لعام ١٢٨م، وهو يحتوي على خمسة أسرّة جنائزية، اثنان منها في الجناح الرئيسي، كما يحتوي على ٢٠٠ قبر، استخدم منها ٥٠ فقط، وفيه بئر ماء كأغلب مدافن تدمر لتأمين مياه الشرب والتنظيف. وللمدفن واجهات داخلية مزخرفة بنقوش نباتية وهندسية وكتابات تدمرية ملونة بالأحمر، وفوق باب المدفن كتابة تشير إلى أن أصحاب المدفن باعوا قسماً منه لأبناء عمومتهم عام ٢٢٠م. أما لوحة تأسيس هذا المدفن فتمثّل إنساناً خرافياً له قرنان يُطلق عليه الإله الحامي الذي يحرس المدفن من الشر.
وبالإضافة إلى المدافن الأرضية سابقة الذكر فقد عثر في تدمر على العديد من المدافن الأخرى ومن أهمها مدفن بريكي بن زبيدا الذي يعود للنصف الثاني من القرن الأول الميلادي أو لأوائل القرن الثاني، ومدفن ديونيسوس الذي يعود للنصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، ومدفن نصر اللات، وكذلك مدفن حيران الذي يعود لعام ١٠٦م، وأخيراً ومدفن شلم اللات الذي يعود تاريخه للقرن الثاني الميلادي.
المدافن المنزلية: ظهر هذا النوع من المدافن في نهاية القرن الأول الميلادي، وعثر في مدينة تدمر على حولي ٣٥ منها ولكنها مهدمة، ومن أهم تلك المدافن:
مدفن عيلمي بن زبيدا: تم تنقيب هذا المدفن من قبل العالم الألماني شميت كولينيه بين عامي ١٩٨٢ و١٩٨٧م، وهو يتميز بهندسته الرائعة التي تحمل التأثيرات التدمري والفارسي واليوناني والروماني. ويتألف هذا المدفن من باحة مربعة تحيط بها أروقة مسقوفة ذات أعمدة، وهو مكوّن من طابق واحد له مدخل جميل وباب من الحجر المنحوت، وحول الباحة يوجد مصاطب تحتوي على معازب، بعضها مزدان بزخارف جميلة، وأمامها كانت توضع الأسرّة لجلوس العائلة، وقد عثر في هذا القبر على حوالي مئة هيكل عظمي.
هيكل الموتى: وهو عبارة عن مدفن منزلي يعود بناؤه إلى أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الميلادي، وقد تم تنقيبه بين عامي ١٩٦٨ و ١٩٦٩م. يوجد أمام هذا المدفن عتبة ودرج ورواق فيه ستة أعمدة فوقها جبهة مثلثة، وزخرفت العضادات بنقوش نباتية. ويوجد تحته قبو له باب من جهة الغرب.

مدفن قصر الحية: بني هذا المدفن من قبل أسرة مارونا في شهر آذار من العام ٢٣٦م، وسمي بهذا الاسم لوجود رسم حية على تاج عضادته الشرقية الجنوبية.
ومن المدافن المنزلية المهمة أيضاً في تدمر نذكر مدفن القصر الأبيض الذي يقع غرب مدفن إيلابل في وادي القبور، ومدفن مالك بن عجيل، ومدفن نوربل، كما كشفت التنقيبات في سور المدينة الشمالي بين عامي ١٩٧٠ و١٩٧٨م عن بعض أرضيات مدافن الأسر التدمرية ومنها مدفن شمس بن تيما الذي يعود إلى عام ٩٨م.
القبور الفردية: وهي قبور مؤلفة من قبر واحد فقط، تبلغ أبعاده نحو ١ X ٢ م، وهو مبني من الداخل بأحجار منحوتة أو من الآجر، وكان يوضع الميت على أرضيته، وفوق القبر شاهدة مزخرفة تنتهي من الأعلى على شكل هرم أو نصف دائرة، وعليها تمثال المتوفي أو ستار الموت المعلق بسعف النخيل، وعليه اسم الميت وكلمة هبل التي تعني وا أسفاه.

١٢ـمعلولا

معلولا بلدة تقع على بعد ٥٥ كم تقريباً،إلى الشمال الشرقي من مدينة دمشق، بين السلسلتين الجبليتين الثانية والثالثة من منطقة القلمون، في لحف جبل معلولا الذي ترتفع قمته إلى ١٩١٣م، من سلسلة جبال لبنان الشرقية. وهي ناحية تتبع منطقة القطيفة في محافظة ريف دمشق.
أثبتت الدراسات التي قامت في جبل معلولا وجروفه الصخرية أن الإنسان قد سكن هذه المنطقة منذ عصور ما قبل التاريخ، بدءاً من إنسان نياندرتال الذي عـاش في الفترة من ٢٠٠ ـ ٤٠ ألف سنة قبل الميلاد، حتى الإنسان العاقل الأكثر تطوراً، الذي عاش في الفترة ما بين ١٠ ـ ٧ آلاف سنة قبل الميلاد.
إنّ هذا الإنسان الذي لم يعد يكتفي بسكنى الكهوف الطبيعية المنتشرة في معلولا، قام بحفر كهوفه ومغاوره في صخورها، وعليها أشاد معابده ومنازله، وحفر تماثيل آلهته، ومثّل لبعض معتقداته. كل ذلك وفق تصور مسبق لها. الأمر الذي جعل بعضهم يرى في معلولا تاريخاً وأوابد، اختزالاً وتلخيصاً للتاريخ الانساني برمته، بوصفها تعدّ متحفاً حياً نادراً عن طريقة حياة الإنسان القديم، إنسان الكهوف وسكنه، حتى الوقت الحاضر.
تعددت أسماء هذه البلدة السورية العريقة، منها: «سلوكية الشام». كما دعاها بعضهم، «سلوقية قلمون». كما أسماها آخرون. أمّا الأب «باريزو **Parisot**» فقد ذكر في كتابه «لسان معلولا:أن هذا الاسم ورد بهذا اللفظ عينه في كتابة كنسية قديمة وفسره بمعنى: المدينة الغنيـة الجميلة. كما ذكرها الفلكي والجغرافي اليوناني بطلميوس الكلودي(٩٠ ـ ١٦٨م) في جغرافيته، ودعاها باليونانية كليما ماغلوللون **Klima Magloulon** [فلمّا لم يكن في اللغة اليونانية حرف العين «ع» استخدم في لغته حرف الغمّة]. ولهذا فهي تلفظ بالعربية «مَعْلولٌ **Macloulon**» وفي عهد اليونانيين والرومانيين أطلق على معلولا اسم **Scopulosa** سكوبولوسا، وهو يعني الموعرة المحجرة لوعورة مسالكها، ووفرة الصخور فيها، وهذا الاسم كان يطلق على كل المقاطعة شمال شرقي دمشق الشام الوعرة. وسمّاها العرب»النشيطة» لجفاف مناخها واعتداله، وعذوبة مائها.
أمّا الأب العلاّمة باسيليوس نصرالله، فقد رأى أن معلولا **h**سم آرامي رافق هذه القرية منذ فجر التاريخ»، وهو يعني «المدخل»، تماماً كما يعني «المرتفعة».ومما يؤيد هذين الاشتقاقين هو موقع هذه البلدة القائم في محل مرتفع عمّا سواه من البلدات المجاورة من الجهة الشرقية والجنوبية والغربية، ومدخلها الضيّق الذي لايمكن الولوج إليها إلا من خلاله.

تمتاز معلولا بعذوبة مائها، ونقاء هوائها، وجمال طبيعتها، وسحر تكوينها الجغرافي والعمراني، إضافة إلى هذا، فإنّ ما احتفظت به هذه المدينة القديمة من آثار الحضارات التي تعاقبت عليها ، بما فيها الآرامية واليونانية والرومانية والبيزنطية والعربية الإسلامية ـ أكسبتها تلك الشهرة المحلية والعالمية، التي يمكن تلخيصها بعاملين اثنين فريدين هما:
اللغة الآرامية: وهي اللغة التي خاطب بها السيّد المسيح الجماهير، وبها كتب متىّ إنجيله. فقد وجدت هذه اللغة لها مأوى بين أهل معلولا مع كل من أبناء جبعدين وبخعه «الصرخة» الذين تمسكوا بها وحافظوا عليها، فصاروا لهذا السبب مثار انتباه المستشرقين واللغويين والمؤرخين واهتماماتهم، منذ القرن السابع عشر وما زالوا!!
عشرات الأوابد متعددة الأغراض والمقاصد، من التي تصادف الزائر على كل شبر من معلولا.
أهم المعالم الأثرية في مدينة معلولا:
أوابد معلولا في عهود ما قبل التاريخ: وهي في معظمها كهوف طبيعية كبيرة سكنها إنسان ما قبل التاريخ، مع ما أدخله عليها من تعديلات.
أوابد معلولا في العهد الوثني: وهي عديدة ومتنوعة، منها: معبدا إله الشمس وحمّام الملكة / أو الحمّام الامبراطوري. و صخرة الآلهة في الجهة الشرقية من البلدة وهي صخرة مرتفعة في أعلاها ثلاثة قبور وفي جهتها الشرقية نحت نافر يمثل إلهين متقابلين الأول ذو لحية وفوق رأسه إكليل وعلى عاتقه الأيمن عبارة يونانية، والثاني يعتقد أنه تمثال للربة أثينا وفوق رأسيهما قوس من الكتابة اليونانية.والنصب التذكاري الجنائزي.والمدافن.
الآثار المسيحية: وهي عديدة وكثيرة تعدّ بالعشرات، أهمها:
الكنائس المغاور: وهي نفسها معابد إله الشمس التي تحولت مع انتشار النصرانية إلى معابد للمسيحيين.
دير القديسين سرجيوس وباخوس، وهو من أقدم الكنائس ليس في معلولا فحسب، بل في سورية والعالم، حافظت هذه الكنيسة على ما كانت عليه منذ إنشائها في الفترة من ٣١٢ ـ ٣٢٥ للميلاد، بعد صدور المرسوم القسطنطيني الذي سمح بالحرية الدينية، وحرية المعتقد. تقع في أعلى الجرف الصخري الذي يخص القرية. ويذكر أن سرجيوس وباخوس كانا قائدين عسكريين أصلهما من مدينة سرجيو بوليس «الرصافة» رفضا العودة إلى العقيدة الوثنية، بعد أن اعتنقا المسيحية واستشهدا من أجلها. وتحتفظ هذه الكنيسة ببعض الإيقونات العائدة إلى القرن الثالث عشر.
وهناك دير مار تقلا المشهور بكهفه التاريخي، الذي يعتقد بعضهم بأن القديسة تقلا ـ تلميذة القديس بولس ـ عاشت وماتت فيه. ويتم الوصول إليه عبر سلسلة من الأدراج والمصاطب الصخرية، وأمام الدير يقوم (الفج الصخري الجميل). الفج الشرقي وهو الممر القديم الوحيد الذي كان يربط بين دير مار تقلا ودير مار سركيس في الأعلى، وليس هناك من دليل علىأن هذا الدير يعود إلى الفترة البيزنطية وربما يعود إلى القرن ١٨ ميلادي.ومن الكنائس أيضاً كنيستا مار إلياس ومار لاونديوس االتان تعودان إلى القرن الخامس أو السادس الميلادي. وقد عُثر في كنيسة مار إلياس على موزاييك يعود إلى القرن الرابع الميلادي، إضافة إلى العديد من الأماكن الدينية الأخرى الداثرة منها والباقية.
وفي معلولا عشرات البيوت السكنية، الفسيحة الأرجاء الرائعة البالغة الإتقان في تصميمها وتنفيذها، نحتت في الصخر، بدءاً من العصور القديمة، وقد كان لمعلولا سور يلتف حول

بيوتها القديمة لحمايتها من أي عدوان. وفيها معاصر العنب والزبيب والزيتون،التي مازال بعضها قائماً حتى اليوم ، وفي معلولا جامع قديم أُعيد بناؤه وترميمه في الخمسينات من القرن الماضي، له منارة مربعة، وهو دليل التسامح الديني الذي عُرفت به المنطقة على مرّ العصور،كل ذلك جعل من معلولا أحد أهم مواقع السياحة التاريخية والدينية في المنطقة والعالم.

١٣-صيدنايا

أحد أعرق الحواضر المسيحية في المشرق العربي جعل منها جمال طبيعتها وغناها بالمقدسات مقصد العديد من الزائرين من جميع أنحاء العالم وغدت أحد أهم المراكز السياحة الدينية لما تضمه من اديرة وكنائس.

تقع شمال شرق دمشق وتبعد عنها نحو ٣٠ كم على ارتفاع ١٫٤٥٠ متر واسمها آرامي ربما جاء من دمج كلمتي الصيد وناي وهي الغزالة أي مكان صيد الغزالة في إشارة إلى قصة الامبراطور البيزنطي جوستنيانوس وتأسيسه لدير السيدة .

تعود المعالم الأثرية في صيدنايا للعصرين الروماني والبيزنطي، وأهمها الأديرة والمقدسات ففيها أحد أهم الأديرة في العالم وهو دير سيدة صيدنايا وبناه جوستنيانوس بالقرن السادس الميلادي ويقع وسط البلدة فوق صخرة مرتفعة تشرف على صيدنايا من جهة الشرق وتلتف المدينة حوله من الجهات الثلاث كما يحتوي الموقع الكثير من العناصر المعمارية تعود إلى العصر الروماني إضافة إلى دير مارتوما وبني على قمة جبل يطل على صيدنايا فوق مصطبة وتنتشر فيه منشآت منحوتة في الصخر ترقى إلى العصر الروماني.

ومن الأبنية الأثرية التي تضمها صيدنايا أيضا دير القديسين بطرس وبولس الذي يسمى باللولبة ويقع في الجهة الشرقية من البلدة ويعود بناؤه الأساسي للعصر الروماني ويرتفع عن الارض المجاورة نحو ٣ درجات من جميع الجهات ودير القديس جاورجيوس ويقع في سفح الجبل جنوب القرية ووصفه بارسكي الذي زاره عام ١٧٢٨ م بانه كنيسة صغيرة جدا في غاية المتانة لبنائها من الحجر المنحوت على صخر الجبل وبجانبها من جهة الجنوب دير صغير.

الأسواق الأثرية

الأسواق الأثرية في مدينة دمشق

سوق الأروام:

يقع سوق الأروام إلى الجنوب من الطرف الغربي لسوق الحميدية متفرعاً منه باتجاه الحريقة، وهو اليوم يؤلف التجمع الرئيسي لتجارة البسط والسجاجيد بدمشق، إضافةً إلى بعض الأثاث المنزلي، كما تُعقد فيه مزادات هذه السلع المذكورة. أما في السابق فكانت تسمية «سوق الأروام» تُطلق على سوق الحميدية قبل تنظيمه بشكله النهائي، ولا زال المسنون يطلقون إلى اليوم تسمية «سوق الأروام» على كامل سوق الحميدية.

والأروام في لغة أهل البلاد إبّان العهد العثماني هم اليونان (يقابلها في صدر الإسلام الروم)، ثم دَرجت على سكان الأناضول من السلاجقة وبعدهم الأتراك أنفسهم. وقد قَدِم هؤلاء الأروام (أتراك الأناضول) دمشق فأقاموا بها وشغلوا هذا السوق قبل تنظيم سوق الحميدية عام ١٧٨٠م.

سوق الحميدية:

يُعد سوق الحميدية من أشهر أسواق دمشق القديمة، ويقع بين جدار القلعة الغربي ومدخل سوق المسكية، بني هذا السوق على مرحلتين:

١ـــ القسم الغربي: في عهد والي دمشق محمد باشا العظم عام ١٧٨٠م، وهو يمتد بين الدرويشية (مدخل سوق الأروام) والعصرونية، وعرف بالسوق الجديدة، وتم ذلك في عهد السلطان عبد الحميد خان الأول.

٢ـــ القسم الشرقي: في عهد والي دمشق راشد ناشد باشا، وهو يمتد بين سوق العصرونية وباب البريد، وتم ذلك في عهد السلطان عبد الحميد خان الثاني، وقد اقتضى توسيعه فتح المدخل الضيّق لقسمه الغربي عند باب النصر (باب السرايا)، فأزال والي دمشق العثماني شروانلي محمد رشدي باشا هذا الباب عام ١٨٦٣م.

ومنذ إتمام السوقَين أطلق عليهما اسم (سوق الحميدية) نسبة إلى السلطانين المذكورين، وصار السوق أهم مركز تجاري بدمشق في القرن الماضي، ويختص ببيع جميع أصناف اللوازم البيئية والألبسة وغيرها، بينما كان سوق مدحت باشا ــ في ذلك العهد ـــ مختصاً بالبضائع الغذائية.

سوق البزورية:

يُعدّ سوق البزورية من أكبر الأسواق داخل دمشق القديمة، ويتقاطع مع شارع مدحت باشا وينتهي حتى مدخل قصر العظم، تُباع فيه جميع أنواع البزور والحبوب والتوابل والمصنوعات الغذائية المحلية والعطور. كان يدعى في عهد المماليك سوق البزوريين. كما ذكره ابن طولون الصالحي باسم: سوق القمح، وكذلك باسم: حارة البزورية.

سوق الخُجَا:

أصل التسمية تعود إلى كلمة خُوجَة (خُجا باللهجة الدمشقية)، وهي كلمة تركية تعني المؤدَّب، أي مدرِّس الأطفال في الكتاتيب.

بُني سوق الخُجَاعلى فسحة من الأرض غربي القلعة كان مكانها قسم من الخندق الذي رُدم في أواخر القرن التاسع عشر، وقد ابتاع هذه الفسحة راغب بن رشيد الخوجة من الدائرة العسكرية بتشجيع من الوالي العثماني حسين ناظم باشا إبان ولايته الأولى (١٨٩٥ ـ ١٩٠٧ م)، للتخلص من تراكم الأقذار التي كان الناس يلقون بها في خندق القلعة، مما كان

يؤدي إلى انتشار الأمراض والروائح الكريهة. وقد بنى السوق شخص يدعى ابن الأصفر، واضطر جنود السلطنة إلى العمل في إعماره للحصول على المال اللازم لمعيشتهم بعد أن عجزت الدولة عن دفع مرتباتهم آنذاك.
كان للسوق أربعة أبواب: الأول من سوق الأورام، والثاني تجاه سوق النحّاسين، والثالث هو النافذ من باب القلعة القديم الغربي إلى اتجاه سوق القميلة وجامع سيدي خليل، والرابع المقابل لجامع السنجقدار.
جُدّد السوق، عام ١٩٠٥م، وقام الوالي حسين ناظم باشا بتغطيته والأسواق الكبيرة الأخرى بسقوف من الحديد والتوتياء وقاية له من الحريق. في حين زال السوق، أي هدم أواخر عام ١٩٨٣م، ومكانه الآن فسحة للمدخل الغربي لقلعة دمشق، نُصب فيها تمثال لصلاح الدين الأيوبي، وبُني سوف بديل باسم (سوق الخجا الجديد) في شارع الثورة.

سوق الدّراع:

يقع سوق الدّراع جنوبي الجامع الأموي من طرف سوق مدحت باشا، لم يكن سوى قسم من سوق جقمق (مدحت باشا فيما بعد) الذي كان أشهر أسواق دمشق في عهد المماليك، ولم تكن تعرف بهذا الاسم بل باسم: سوق البزّ أو سوق الثياب، أما السوق التي كانت تسمى أصلا (سوق الذراع) فكانت تحت قلعة دمشق. وكان يباع في كلا السوقين المذكورين ـــ في نفس الوقت ـــ القماش المذروع: أي نسيجاً خاماً غير مخيط. والمذروع: أي المُقاس بالذراع البشرية، وهي تعادل ٧٠ سم تقريباً. ولا زال كثير من باعة القماش بدمشق حتى اليوم يقيسون قماشهم بأذرعتهم بدلاً من استخدام المقاييس المترية. تلفظ الكلمة في العامية الدمشقية: ضراع، ويقال: سوق الضراع.
ومن الجدير بالذكر أن في حلب أيضاً يوجد "سوق الدّراع" ويقع بين سوق العطارين وسوق الطرابيشية، كان يُباع فيه النسيج بالذراع لا بالصايات (نوع من القماش المخطط).

سوق ساروجة:

يُعد سوق ساروجة حي كبير يقع بين العقيبة وبوابة الصالحية، أصل التسمية (سُويقة صارُوجا)، ومعنى السويقة كمصطلح عمراني: تجمع سكني صغير مستقل ذو بوابة أحياناً، وبه مسجد أو جامع وسوق صغيرة (ومنها أتت تسمية السويقة بصيغة التصغير) وحمام وفرن، وجميع المستلزمات الحياتية للتجمع المدني. وأسلوب السويقات لم يكن معروفاً في مدينة دمشق القديمة داخل السور، ولكن بدءاً من القرن السادس الهجري بدأت تظهر مجمعات سكنية خارج السور على شكل سويقات صغيرة (كالعقيبة مثلا)، بعد أن كانت المناطق الواقعة خارج الأسوار تقتصر على الميادين غير المأهولة بشكل سنوي دائم.
ازدهرت عمارة السويقات في عهد المماليك خصوصاً (من أواسط القرن السابع إلى مطلع القرن العاشر الهجري)، فمنها سويقة صاروجاالتي نشأت على يد الأمير المملوكي صارم الدين صاروجا المظفري، في عام ٧٤٠هـ ، وهي نفس السنة التي أعدم فيها الأمير الكبير سيف الدين تنكز الناصري، و كان صاروجا قبل ذلك من الأمراء الناصرية (نسبة للسلطان الناصر محمد)، وولي إمرة صفد ثم دمشق. وكان من أنصار الأمير تنكز، فاعتقل بعد تنكز وأمر بتكحيله (أي إذهاب بصره)، و مات أواخر عام ٧٤٣هـ.
ومنذ بداية نشوء هذه السويقة اتسع فيها العمران، ويرى الباحث الفرنسي سوفاجيه أنها كانت خاصة بإسكان الضباط والجنود المماليك.

ومنذ نشوء الحي في أواسط القرن الثامن الهجري حمل اسم مؤسسه الأمير صاروجا كما هو معروف، وتصحّف الاسم في عامية دمشق الى (ساروجة) أو (سوق ساروجة) بدلاً من: سويقة صاروجا. وكان الشائع كتابتها في دوائر الطابو القديمة: سوقساروجة.
وأما تأويل هذا الاسم فهو مشتق من التركية Sart صاري (ويلفظ حرف العلة الأخير بحركة بماتة بين الضم والسكون): أي أصفر اللون أو لون الصفُرة، تليها لاحقة ca (جا، جه) التركية التي تفيد الصفة، فيكون معنى صاروجا بذلك: من شابت شعره صُفرة أو شُقرة، وبالفصحى: الأصهب أو صُهيب. يضارعها في ذلك بالأسماء المملوكية التركية: قزلجة (أي أحيمر)، أنجا (أي أبيض)، فراجا (أي سُويِّد)، كُوزلجه (أي جميل).
ومن المعروف عن أصل التسمية أن هناك حكاية تَروي أنهم قالوا كان «سيدي الشيخ ساروجة» واحداً من الأولياء الصالحين، وما زال ضريحه إلى الآن ماثلاً في ساحة سوق ساروجة شرقي جامع الورد. فمما يحكى أنه كان في بعض الأزمان يؤدي فريضة الحج في الديار المكرمة مع أصحابه، وكانت في نفس الوقت تطبخ أكلة (كبة لبنية)، فخطر ابنها على بالها وقالت في نفسها: «والله اشتهيتك يا ابني بهالأكلة الكبة». ويبدو أنه كان بين الأم وابنها تخاطب روحاني عن بعد، فوقعت كلمتها في أذنه على الفور، فما كان من «سيدنا» ــ دستور من خاطروـــ إلا أن خطا من الحجاز إلى الشام في لمحة واحدة، وكان من أهل «الخطوة»، فمثل على الفور أمام أمه فملات له «سطل لبنية»ــ أو سفرطاس والله أعلم ــ وعاد بنفس اللحظة إلى أصحابه في الحجاز، فأكلوا أقراص الكبة اللذيذة وهي ما تزال حارة وقال أصحابه: صاحبنا سَار وإجَا، أي: سار وجاء، ومنذ ذلك اليوم غلب عليه هذا الاسم (ساروجة)، ثم على الحي بعد أن دفن فيه.
قامت بحي سوق ساروجةفي القرن الثاني عشر الهجري كثير من الدور الجميلة الفارهة والحمامات الأنيقة الواسعة، إضافةً إلى مساجده القديمة، واستمر الحي في الرقي والاتساع حتى حمل لقب (اسطنبول الصغيرة)، وفي العهد المذكور كان الحي هو المنتقى للأتراك منذ أن دخلوا الشام في مطلع القرن العاشر الهجري، فسكنه ذواتهم وموظفوهم، ولم تزل اعقابهم فيه إلى الآن تدل عليها أسماء الكنى الباقية إلى أيامنا.
من أشهر الأبنية الأثرية الموجودة في ساروجة اليوم: المدرسة الشامية البرانية، جامع الورد، حمام الورد، حمام الجوزة، حمام القرماني، بيت العابد، بيت العظم، بيت اليوسف، بيت الإيبش (وفيه قاعة الصيد الشهيرة). إضافةً إلى الأبنية الأثرية الأيوبية والمملوكية التي ذكرناها سابقاً، ويضم حي سوق ساروجة عدداً كبيراً من المحال والحارات والأزقة والدخلات.

سوق العتيق:

يقع السوق بين النهاية الجنوبية لشارع الثورة وساحة سوق الخيل، لم يرد ذكره في مؤلفات العهد المملوكي، وأول إشارة وجدناها عنه في كتاب (دمشق في مطلع القرن العشرين) للعلاف، وذلك أواخر العهد العثماني.
وما زال السوق موجوداً إلى اليوم بنفس الاسم، وأما تسميته بالعتيق فواضح أنها أطلقت في زمن ما، كان فيه السوق يعود إلى فترة زمنية سابقة، وهو اليوم مختص ببيع اللحوم والمقادم والرؤوس والسمك، وكافة أنواع السقط من المواشي. ولذا قد تُسميه الناس أحياناً بسوق اللحم أو سوق السمك. وفي أيامنا بدأ هدم سوق العتيق لإعادة تنظيم المنطقة.

سوق القَلَبَقجِيَّة:
يقع سوق القَلَبَقجِيَّة بين جادة سوق الحرير وسوق الخياطين، أصبح السوق اليوم بضعة محلات تُتجر بالأقمشة، بعد أن فقد تخصصه ببيع القَلابِق (مفردها قَلَبَق) بعد أن بَطُل استعمالها. والقَلَبَق لباس للرأس كان يعتمره الضباط العثمانيون والدرك (الظابطية)، وشكله يُشابه الطربوش مع فارق أنه غير أسطواني المقطع، وإنما مثني في أعلاه بالنصف، ويُصنع من جلد الخروف بشعره (الاستراغان) باللون الأسود.
سوق المِسكِيَّة:
يقع سوق المِسكِيَّة خارج الباب الغربي للجامع الأموي قبالة باب البريد، وهو سوق صغير اختص منذ القديم ببيع الكتب والورق جرياً على نظام المدن الإسلامية حيث توجد أسواق الوراقين بقرب الجوامع الكبرى، كسوق صحفلار قرب جامع بيازيد باسطنبول، وسوق الوراقين قرب جامع الزيتونة بالقيروان، وسوق الوراقين قرب الأزهر بالقاهرة وكذلك في شارع محمد علي.
انتشرت فيه المكتبات ومحلات الوراقين، ثم زاد عليه دكاكين باعة المسك والعطور والمسابح، فغلب عليه اسم المِسكِيَّة، رغم أن السوق المختصة بهذه الطيوب كانت في العهد المملوكي خلف الجامع الأموي من جنوبه وتدعى "سوق العنبرانيين".
كان هذا السوق من معالم دمشق الجميلة، لأن فيه بعض أطلال معبد جوبيتر الروماني القديم. تُباع فيهالكتب المدرسية المستعملة، إلى جانب الكتب الدينية والتاريخية أو التراثية، أو حكايا الأولين كسيرة الزير سالم وعترة وغيرها، إضافةً للوحات القرآنية وصور الحرمين الشريفين.إلى جانب الكثير من كتب الروحانيات والسحر من أمثال: الكباريت في إخراج العفاريت، اللؤلؤ والمرجان في تسخير ملوك الجان، الجواهر اللماعة في استحضار ملوك الجان في الوقت والساعة. وقد أُزيل السوق في عام ١٩٨٤م إثر تنظيم المنطقة لكشف الواجهة الغربية للجامع الأموي.
ثمّة أسواق كثيرة في دمشق كـ «سوق الصياغة» و«سوق تفضلي يا ست» و«سوق الجمعة» و «سوق التبن» و«سوق الخياطين» و«سوق الخيل» و«سوق الشراطيط» و«سوق الطويل» و«سوق علي باشا» و«سوق الغنم» و«السوق العتيق» و«سوق مدحت باشا» و«سوق النسوان» وغيرها من الأسواق.
الأسواق الأثرية في مدينة حلب
سوق المدينة:
يعد سوق المْدينة من أطول الأسواق المسقوفة في العالم. وهو مكون من أسواق فرعية تتميز باحتفاظها بطابعها الأصلي فهي تمتاز بسقوفها الأسطوانية المقبَّبة الضخمة وفي سقوفها نوافذ للإضاءة والإنارة وهي دافئة شتاء وباردة صيفاً بفضل سقوفها الحجرية السميكة التي تحمي المتسوقين والزوار والسياح من حر الصيف وبرد الشتاء وأمطاره.
كما ويُعد السوق الأكثر روعة في العالم العربي، فهو شبكة مترامية الأطراف مؤلفة من ممرات ضيقة صاخبة وعدد من الدكانين التي "على مدى القرون السبعة الماضية" ضمت كل نوع من أنواع التوابل، والحلو، والصابون، والحرير، والفواكه المجففة والسجاد والمعادن والمجوهرات.

سوق الزرب:
يقع في الجهة الشرقية لـ «سوق المْدينة»، تعود تسميته إلى تحريف في اللغة نتج عن استعمال العثمانيين حرف الظاء بدلاً من الضاد العربية فاسم السوق الأصلي هو سوق الضرب، حيث كانت تضرب به العملة المعدنية في العهد المملوكي ثم تطوّر تعبير سوق (الضرب) التركي ليصبح الآن «سوق الزرب»، ويتألف السوق من ٧١ محلاً تجارياً ويمتهن أصحابها بيع المنسوجات وحاجات البدو. واجهة مدخل السوق الشرقية زُينت بمثلث فوق المدخل وسُقف السوق بقبو ذي فتحات علوية.

سوق العبي:
اسمه التاريخي «سوق النشابين» ويُعتبر امتداداً لـ «سوق الزرب» نحو الغرب وهو أقصر منه، إذ يحتوي على ٥٣ محلاً تجارياً يتاجر أصحابها بالعبي وأنواع المنسوجات من المناديل والأقمشة. وقد سُقف السوق بقبو ذي فتحات علوية.

سوق العطارين:
اسمه التاريخي «سوق الأبارين»، ينتهي بنهاية سوق«اسطانبول الجديد»، والمهنة التاريخية لسوق العطارين هي بيع التوابل ومشتقاتها. وقد تبدلت وظيفة العطارة لحساب تجارة الأقمشة إلى حدّ كبير، إلا أن السوق بقي محافظاً على وظيفته الرئيسة. فرائحة الفلفل والقرفة والبهار تختلط برائحة الزعتر الحلبي والزهورات البلدية والبابونج العطر،التي تنتشر في كلّ مكان. ويتألف من ٨٢ محلاً.

سوق السقطيّة:
يقع سوق السقطيّة غرب سوق العطارين، وترتبط السقطية بالأكلات الشعبية المعمولة على أصولها. فإذا أردت تذوّق الفول المدمّس أو القطايف أو الكنافة فاقصد«السقطيّة». وهو سوق طويل بثلاثة أجزاء تُباع فيها أنواع الأطعمة من معجنات وحلويات وخضار وفواكه. ويتألف من ٨٦ محلاً.

سوق البهرمية:
هو امتداد لـ«سوق السقطيّة» باتجاه الغرب. سمّي بهذا الاسم لوجود المدخل الرئيس لجامع ومدرسة بهرام باشا(البهرمية) قربه. تغلب عليه تجارة الأغذية. ويتألف من ٥٢ محلاً. هذا ويختلف «سوق البهرمية» عن الأسواق الأخرى القديمة بأن بعض أجزائه غير مسقوفة.

سوق قره قماش:
ينتهي هذا السوق بسوقي الزرب والعبي، وهو غير مسقوف لأنه يروى قصة أن ملاكاً كبيراً هدمه في الأربعينيات ليبني على جانبيه بيوتاً سكنية فوق الدكاكين التي مازالت ماثلة حتى اليوم. أما التجارة الغالبة في السوق فهي تجارة الأقمشة. ولعل الاسم التركي «قره قماش» أي «القماش الأسود» يدلنا على عدم تبدل وظيفة السوق القديمة. حيث كان يُباع فيه الخمارات والعباءات (الباشاية والملاية).

سوق الدهشة:
يتفرع هذا السوق من «سوق قره قماش» وسبب التسمية يعود للدهشة التي كانت تنتاب الزائر وهو يطوف أرجاء السوق قديماً نظراً إلى روعة السوق وجماله، وإلى كثرة الأقمشة المعروضة التي كانت تصدّر إلى الشرق والغرب في عهد ازدهرت فيه التجارة في حلب ازدهاراً عظيماً. ولقد أخلص السوق لوظيفته القديمة فمازالت تجارة الأقمشة هي الوحيدة في الـ٤٩ محلا الموجودة في السوق.

سوق الطرابيشية:
يقع سوق الطرابيشية على امتداد سوق الدهشة، ويُسمّى أيضاً بـ«سوق القاوقجية». مهنته التاريخية صناعة الطرابيش وبيعها، وقد اندثرت مع زوال عادة لبس الطربوش، وحلّت محله تجارة الأقمشة. ويتألف من ٦٣ محلاً.

سوق الدراع:
يقع سوق الدراع إلى الجنوب من «سوق الطرابيشية» ويوازيه. وسُمّي السوق بهذا الاسم لأن «الدراع» هو وحدة القياس المحلية «يبلغ الدراع الحلبي ٧١ سنتمتراً». إنّ المهنة الحالية للسوق هي بيع الأقمشة وخياطتها، فترى السوق وكأنه مشغل خياطة كبير تتوزّع على جانبيه طاولات التفصيل المقابلة لكلّ دكان. كما ويتميز هذا السوق بأسلوب خاص في الإنارة، إذ إنّ الخياطة تحتاج إلى إنارة مريحة للبصر. لذا، فإن النور الوارد من الفتحات العلوية كان يُتحكّم به عن طريق لوحات عاكسة موضوعة تحت الفتحات، ويمكن تحريكها حيث تعمل على عكس النور الوارد من الأعلى فتجعله منتشراً بشكل مناسب. ويتألف من ٥٩ محلاً.

سوق القصابية:
وهو سوق صغير ينتهي شمالاً بخان القصابية وجنوباً بقيسارة الجلبي، أغلب تجّاره يتاجرون بالأغذية وخصوصاً المكسرات ويسمى بائعها بالطوّاف.

سوق الفرايين:
يشكل سوق الفرايين محور دخول رئيسي للمدينة من جهتها الجنوبية ويرتبط اسمه باسم خان الفرايين الملاصق للسوق، وإن الفرايين من الأسواق التي مازال بعض محلاتها محافظة على مهنتها التاريخية في تجارة الفرو، ويتألف من ٧٧ محلاً.

سوق أرسلان دادا:
يُسمى هذا السوق أيضاً بسوق «أصلان دادا» باسم باني الجامع المجاور ويُشكل إحدى مداخل المدينة الشمالية وهو يُلاصق الجدار الشرقي لخان الصابون وتُعرف دكاكينه بتجارة الأقمشة والجلود، ويتألف من ٣٣ محلاً.

ثمّة أسواق كثيرة في حلب كـ«سوق الصياغة» و«سوق خان الحرير» و«سوق باب انطاكية» و «سوق الصابون» و«سوق الحِراج» و«سوق المناديل» و«سوق الصرمایاتية» و«سوق الحبال» و«سوق الباتية» و«سوق البالستان» و«السوق العتيق» و«سوق الحور» و«سوق الحمام» و«سوق ماركوبولي» و«سوق الجوخ» و«سوق الشام» و«سوق خان الجمرك» و«سوق الحدّادين»، وغيرها من الأسواق.